الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

الأثر الديني في النص العربي القديم
-حسان بن ثابت أنموذجا -

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.
تخصص: أدب عربي.

إعداد الطلبة:

* سفيان عمورة
* خالد غيموز

إشراف

الأستاذة:

* سعاد الوالي

السّنة الجامعية:2013/2012

إهداء

إلى مملكتي وجمهوريتي الكبرى التي ولدت وترعرعت فيها، أسرتي إلى رئيس جمهوريتي أبي ، يخجل قلمي من كل ما يكتبه ويقره من فضلك، لن أفيك حقك، أنت الذي فرشت لنا دروب النجاح وردا، وعلمتنا أن الحياة كفاح والعمل عنوان النجاح أطال الله عمرك وجعل الجنة مثواك _إن شاء الله_

إلى وزيرة حكومة أبي، أمي ثم امي ثم أمي .....أمي الغالية.

نبع الحنان انت ورود بابل أنت يا امي.....أهديك أول أعمال والبقية تأتي بإذن الله.....أطال الله عمرك وجعل الفردوس دارك، إلى البرلمانيين إخوتي: سماء، حمزة، عماد، امال، والكتكوتة والمشاغبة أميمة.

إلى الأصدقاء: عبد الحفيظ، عادل، عبد الباسط، زين الدين، الحسين، صالح، طارق، مراد، يوسف، بلال، هشام، سمير، حمزة، محمد الطاهر زارزي، هشام حيمر، معاد وسعد لعشبي، عروة إلى الرفيق إدريس قندوز، رضوان .

إلى كل الزملاء بمعهد الآداب واللغات خاصة قسم الآداب العربي إلى الأساتذة الكرام: طارق بوحالة ، سليم بوعجاجة، رضا عامر، منير بن الديب، عمار قرايري، الزبير بن سخري، إلى عمال المكتبة خاصة "صورية"

إلى المساند والدراع الأيمن وهو أدرى بنفسه.

إلى من في قلبي وأغفلهم لساني.

وفي الأخير نجدد الشكر الكبير للاستاذة المشرفة"سعاد الوالي"

سفيان

شكر وتقدير

الحمد لله وفقنا في أنجاز هذا البحث فله الحمد والثناء.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى من كانت سببا في أن يحط هذا البحث رحاله إلى بر الأمان الأستاذة الفاضلة "الوالي سعاد" التي كانت لنا خير سند بفضل الصبر الجميل الذي أظهرته معنا والنصح والارشاد والتوجيه فمهما تحدثنا فلن نفيها حقها نتقدم بالشكر إلى كل من:

أساتذة المركز الجامعي بميلة الذين عرفتهم طوال مشواري الدراسي.

وبالأخص: طارق بوحالة، عبد الحفيظ بورايو، عمار قرايري، سليم بوعجاجة، مسعود بن ساري، زبير بن سخري.

وأتقدم بالشكر إلى كافة أسرة المركز الجامعي وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد في اتمام هذا العمل فألف شكر وامتنان.

إهداء

نتوجه بخالص شكرنا وعظيم امتناننا أصحاب الفضل عملا بقول صلى الله عليه وسلم

"لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

إلى والدي الكرام، وإلى كل أصدقائي وأحبائي وإخوتي،

إلى أستاذتنا المشرفة "سعاد الوالي"

إلى كل من أسهم ولو بالقليل في إنجاز وإخراج هذا البحث

خالد

مقدمة:

يعتبر القرآن الكريم معجزة أنزلها الله بلغة العرب ليثبت لهم أن البيان الذي يتغنون به هو مجرد قطرة من بحر هذه المعجزة القرآنية فما كان من العرب و بخاصة الشعراء منهم إلا أن نهلوا من هذا الكتاب ووظفوه في أشعارهم و بخاصة محاولتهم تضمين أشعارهم في بعض الأساليب القرآنية و يتناول هذا البحث الأثر الديني في النص العربي القديم . حسان بن ثابت أنموذجاَ. إذ يقف على مدى تأثير القرآن الكريم في أشعار حسان بن ثابت.

– ولعل الرغبة و حب الإطلاع هو الدافع لاختيارنا هذا البحث، و كذا محاولة فهم العلاقة بين القرآن و شعر حسان، و الإلمام بمظاهر التأثر للكشف عن حقيقة أن القرآن لم يلغ الشعر.

– و لإنجاز هذا البحث اعتمدنا على مجموعة من المصادر أهمها:

– ديوان حسان بن ثابت

– و لأن منهجية البحث تقتضي منا إتباع خطوات منهجية لإزالة اللبس عن الموضوع فقد عالجنا هذا الموضوع وفق الخطة التالية:

–مقدمة احتوت على العناصر المطلوبة في مقدمات البحوث الأكاديمية

–مدخل تناول عموميات حول الشعر القديم قبل الإسلام و كذا بعض المظاهر المتجلية في الشعر و خصائصه.

–الفصل الأول: وقد عرضنا فيه:

1) لمحة عن النص العربي القديم و ما يميزه عن غيره.

2)تأثير القرآن في الأساليب الشعرية.

و دلك من خلال ظهور الجانب الديني في النص الشعري

-و تأثير الإسلام في حياة العرب و بخاصة الحياة الثقافية

3) بين القرآن و الشعر و فيه تناولنا عن علاقة القرآن بالشعر و هل ألغى القرآن الشعر أم تأثر الشعر بالقرآن؟

الفصل الثاني:ورد فيه.

1)تعريف حسان بن ثابت،(مولده و حياته و إسلامه و شعره.)

2)تعرف المدح.

أ) لغة.

ب) اصطلاحا.

بوصف المدح من بين أهم الأغراض الشعرية التي حضر فيها النص الديني بقوة.

3)مستويات الأثر الديني:

أ) على مستوى الألفاظ

ب) توظيف حسان بن ثابت للألفاظ القرآنية في شعره

ج) على مستوى العبادات.

د) على مستوى الصور.

- خاتمة للموضوع عرضنا ما توصلنا إليه من نتائج

- قائمة المصادر و المراجع.

– لم تواجهنا صعوبات تذكر سوى كثرة المادة العلمية و صعوبة التعامل معها كونها مبثوثة و متفرقة في الكتب و المراجع.

وقد تم هذا البحث وفق المنهج التحليلي الوصفي الملائم لهذه الدراسة.

وفي النهاية نأمل أن نكون وفقنا في هذا البحث،فإن كنا قد وفقنا في شيء منه فإنما الفضل لله عز وجل و للمشرف الكريم و إن كانت الأخرى فحسبنا أننا حاولنا و الله ولي التوفيق.

سبحانه نعم المولى و نعم النصير ،عليه توكلنا و إليه ننيب.

ونجدد شكرنا و تقديرنا للأستاذة الكريمة<< سعاد الوالي >>

مدخل :

لقد اصطلح على الفترة التي سبقت الإسلام بالجاهلية وبخاصة في مجال العبادة، فقد كانوا يعبدون الأصنام < فكان للعرب دين ضعيف، لا يخلصون له و لا يصل إلى أعماق نفوسهم وانتشرت الوثنية في أكثر قبائل العرب فقد كانوا يعبدون الأوثان، ويشركون مع الله آلهة أخرى>[1]، فالعرب لم تستقر على دين وإله واحد فكما عبدوا الأوثان هناك من عبد النجوم والكواكب .

وإلى جانب الوثنية، فقد انتشرت بعض الديانات الأخرى كالنصرانية < في منادرة الحيرة وفي غساسنة الشام وسائر قبائله وكان أشهر مراكز النصرانية في اليمن مدينة "نجران، وكان القساوسة والرهبان يردون أسواق العرب يعظون ويبشرون ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار >[2] وقد ساعد على انتشار هذه الديانة حياة التمدن التي عاشها هؤلاء، وقد اشتهر من خطباء النصارى وشعرائهم " قس بن ساعدة الأيادي "، وعدي بن زيد ".

وقد قلت الديانة اليهودية، مقارنة بالنصرانية، كما اشتهرت الديانة الحنفية < هذه الأخيرة، رأى فيها بعض العقلاء العرب من ذوي النظر الثاقب والفكر المستنير أنها تأخذ بأيديهم من هذه الحيرة وكثرة الأديان والمذاهب، وتوصلهم إلى الإقرار بوجود الله الواحد>[3]

[1] محمود رزق حامد : الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، سوريا 2001 ط1 ص 53 .
[2] المرجع نفسه ، ص 54 .
[3] المرجع السابق، ص 54، 55 .

ولعل المتأمل لبعض أشعار الجاهليين يجد أن هذه الأديان قد تركت بصمتها في أشعارهم :

فهذا " عبيد بن الأبرص " يقول

مَنْ يَسْأَلِ النَاسَ يَحْرِمُوهْ وَسَائِلُ الله لَا يُجِيبُ

وكذلك نجد " زهير بن أبي سلمي " يقول :

فَلا تَكْتُمَنَ الله ما في نُفُوسِهَمْ لِيُخفِي ومَهَما يَكْتُمْ الله يَعْلَمْ

يُؤخرُ فَيوضعُ في كتابٍ ويدخرُ ليومِ الحسابِ ويَجعلُ فينقمُ [1]

أما عند الحديث عن الحياة العلمية والمعرفية قبل الإسلام، فنجد أن العرب باعتبارهم بدو لم يعرفوا حياة التمدن، فلم يعرفوا ما عرفته الشعوب والأمم المجاورة لهم (الروم والفرس)، < كانت المدن على التخوم واليمن متحضرة بعض التحضر(...) وما نقل عن أهلها على دلالة صادقة على أنهم كانوا على حظ من الفن والعلم غير قليل >[2]

لكن العرب كانت لهم بعض المعارف < كمعرفة الأسباب و الأيام وما ينطوي عليها من المناقب والمثالب ومعرفة الأخبار والأمم ومعرفة النجوم والفلك ومعرفة شيء من الطب كالكي بالنار وبعض العقارات النباتية وما يتصل بذلك من معارفهم البيطرية وخاصة فيما

[1] محمود رزق حامد : الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، ص 55 .
[2] المرجع نفسه، ص 55 .

يتصل بالإبل والخيل >[1]، فمعرفة الأسباب كانت بمثابة العلم بأصول القبائل، وكان " أبو بكر الصديق " رضي الله عنه أعلم الناس في الجاهلية والإسلام، ويذكر أن حسان بن ثابت كان يلجأ إليه ليعبر قريشا بأسبابهم، وكذلك معرفة العرب بعلم الفلك كان فوق ما تقتضيه أحوال السفر والتجارة، فقد كانوا يهتدون بالنجوم في رحلات الشتاء والصيف ومعرفتهم بالطب كانت ضرورية ملحة كما < كانت العرب على علم خاص بالفراسة (وهي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله وأقواله على أخلاقه ومناقبه) والقيافة هي (تتبع الأثر في الأرض والرمل)>[2]

وإلى جانب هذه المعارف، عرفوا كذلك بعض المعارف العقلية كالحكم والأمثال، وبخاصة في قصائدهم فنجد في آخر معلقة زهير بن أبي سلمي " طائفة من الحكم :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

ومن لا يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه بهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن هاب أسباب المنلية يلقها ولورام أسباب الماء يسلم

ومهما تكن عند امرئ من خليقه وإن خالها تخفى على الناس تعلم [3]

[1] المرجع السابق، ص 55 .
[2] المرجع نفسه ، ص 56 .
[3] محمود رزق حامد، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، ص 57 .

فقد وقف الشاعر عند فكرة الموت والحياة وما يرى به الدهر الناس < وعلى هذه الشاكلة كانت لهم ضروب من التفكير في حقائق الحياة والموت، كما لهم حكم كثيرة مقتبسة من حقائق مجتمعهم ومعاشرتهم لهم، وليس في ذلك كله فلسفة، ولكن فيه من البساطة والفطرة ما يدل على حنكتهم وتجربتهم الحسية الواقعية > [1] فحمله المعارف كانت تمليها ظروف الواقع الذي يعيشه الفرد .

وقد ظل العرب على هذه الحال، إلى أن أعزهم الله بالإسلام وبكتابه الكريم، والذي نزل بلغتهم معجزا لهم في بيانه وبديعه وقوة نظمه ولفظه .

وقد كان للقرآن الكريم أثر بالغ في حياة العرب، وفي شعرهم الذي صقل بالأسلوب القرآني واستمدت ألفاظهم من كتاب الله، بل أن بعض المفردات تغير فحواها، وشحنت بدلالات دينية جديدة .

إن الإسلام لم يكن دينا فحسب، بل كان جامعا مانعا لحياة العرب الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فلا عجب أن تنعكس صورة هذا الدين في أدبياتهم وإبداعاتهم فقد راعوا الأخلاق التي دعا إليها الدين، وهدبوا من ألفاظم وأساليبهم، كما هجر الشعراء بعض الأغراض كالهجاء والغزل، وهناك من شغله القرآن الكريم عن الشعر فتركه كالنابغة الجعدي " وهناك من أعز الإسلام، ودافع عنه وساهم في نشره بشعره كحسان بن ثابت أو عبد الله بن رواحة " .

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب ، العصر الجاهلي، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، د ت، دط ص 88 .

1- لمحة عن النص العربي القديم :

قبل قرن من ظهور الإسلام ظهرت في الشعر بوادر أسرعت به إلى الإتقان والنضوج فأصبحت لهجة قريش أفضل لهجة من لهجات العرب الأخرى ، هذا من حيث اللغة أما من حيث المعنى فقد حدثت في شبه الجزيرة العربية أحداث سياسية وأخرى اجتماعية ارتقت بالخيال عند العرب وذلك من خلال الرحلات التي كانوا يقومون بها والشيء الذي أثار عقول العرب وحرك مشاعرهم ، هي تلك الحياة التي كانوا يعيشونها والحروب التي يقومون بها وهده الحياة تتطلب ألسنة لتعبر عنها وهذه الألسنة هي الشعراء .

< يومئذ قويت تلك الأنواع التي ذكرناها آنفا، وطال القول فيها بعد أن كان لا يعدو بضعة أبيات، واجتمعت أكثرها في قالب شعري خاص هو القصيدة فهي نهاية التدرج الطويل للشعر العربي في الصياغة والأعاريض وهي مجمع الأغراض الشعرية التي خص فيها العرب من قبل وهي صورة للشعر العربي يوم نضج مبنى ومعنى ولا يعرف على وجه التحديد من قصد القصائد، وأطال الكلام وسواء كان المهلهل بن ربيعة أوامرؤ القيس أو عبيد بن الأبرص أو غيرهم فإن جميع الذين يدعى لهم التقييم في الشعر متقاربون لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة لمائة سنة أو نحوها >[1] .

لقد اشتد الصراع بين قريش والعرب وهذا الصراع لم يقتصر على القوة والسيف بل تعداه إلى البيان والشعر وإلى المناظرات والجدل بين شعراء الإسلام والشعراء الذين خاصموا

[1] طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 2006 ط2 ، ص 17 .

الإسلام < كانت قريش تجزع كل الجزع من هجاء حسان و لا تبالي بشعر ابن رواحة وكان ذلك قبل أن تسلم فلما أسلمت رأت في الشعرين رأيا آخر فقد كان حسان يطعن في أحسابهم، ويرميهم بالهنات التي تنال من العزة الجاهلية، وكان عبد الله ابن رواحة يعيرهم بالكفر، ثم أسلموا وكان شعر ابن رواحة هو الذي يحز قلوبهم حزا، فهم إذا كانوا يرون حسانا أعظم الشعراء الخصوم ويرون معانيه أحد وألم من معاني أي أنصاري آخر، وهم إذا يرون الهجاء المقذع المر ما تعرض للحرم والأنساب، لاما تعرض للعقيدة و الدين >[1] .

يعد ظهور الإسلام بمثابة الضوء الذي سطع على العرب، ففتح لهم نافدة على الحضارة وأنار لهم الطريق المظلمة التي طالما تعثروا فيها فقد غير حياة العرب ومعتقداتهم فبعد أن كانوا يعبدون الأصنام أصبحوا يعبدوا الله وحده لا شريك له < أجل لقد فتح الإسلام أمام العرب أبوابا جديدة للفكر ولفن القول، تدور حول الجهاد والدفاع عن الدعوة الإسلامية، وتحفيز العزائم والهمم للجهاد و الغزو في سبيل الله ونشر تعاليمه ومقاومة خصومه، فأدى ذلك إلى بعث نهضة أدبية وفكرية لم يشهد العرب لها مثيل من قبل بل إن الشعر قام بدور تقديم النبوة إلى الناس قبل بدايتها فيما عرف بشعر الإرهاصات [2].

وعلى سبيل المثال إذا عدنا إلى الجانب الأخلاقي فقد كان للدين الجديد دور هام في تمكين الشعراء من < تطويع فريضتهم وتهذيب ألسنتهم ليتمكنوا من أن يجعلوا من الشعر

[1] المرجع السابق، ص 31 .

[2] محمد مهداوي: جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم، مقاربة تحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، 2009ط1، ص 4 .

أداة فعالة في نشر الدعوة >[1] بالإضافة إلى < جمع الناس على كلمة التوحيد و بث مكارم الأخلاق بين العرب >[2] لذا نجد الشعر قد تناول في مضمونه الكثير من القضايا الأخلاقية للأمة المسلمة، فدعا إلى ضرورة تحلي المسلم بالأخلاق النبيلة الفاضلة لأنها تساعد على تطوير الحياة والرقي بها أيضا .

وقد استمد الشعر هذه الأخلاق من الكتاب والسنة ومجموعة القيم الإنسانية التي كانت موجودة من قبل، وتأصيلها في الناس من صدق وأمانة وعدل وإحساس وصبر وكرم وتواضع وخشوع، ونبذ كل خلق ذميم يسيء للمسلم ويحط من قيمته، وينزل به إلى أدنى المراتب في الحياة، كالكذب والرياء والحسد والظلم والبخل والإسراف والغش والكبر وغيرها من الأخلاق المذمومة .

وقد كان للشعر دور هام في الدعوة إلى الالتزام بالأخلاق الفاضلة، وقيم السلوك الإيماني

2- الشعر في صدر الإسلام

في بداية النصف الأول من القرن السابع الميلادي ظهر حدث قلب الجزيرة العربية رأسا على عقب ألا وهو بعثة الرسول محمد صلي الله عليه وسلم وبداية الإسلام < كان ظهور الإسلام أعظم حدث في تاريخ العرب، فهو بداية تحول كبير في حياتهم على كل

[1] زكريا عبد الرحمان صيام: دراسة في الأدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ،دار صادر، بيروت ، لبنان د ت، د ط، ص 315.

[2] المرجع نفسه، ص 313.

المستويات الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية، وكان له اكبر الأثر في حياتهم، حيث أدى إلى انقلاب جدري وتام في معالم هذه الحياة، وتبدل في مقاييسها ونظمها ومرافقها>[1].

ولكن مع مجيء القرآن أدهش العرب ببلاغته فعجزوا أن يردوا عليه أو أن يكتبوا مثله < والقرآن الكريم تحدي العرب و أمعن في التحدي ، ووقف العرب إزاءه ذاهلين حيارى لا يدركون كيف يعارضونه، ولا يجدون على تلك المعارضة سبيلا، ولو أن للعرب روحا علمية إذ ذاك ، تظهر ما في القرآن من جمال أو تتصيد فيه ما تحمل عليه الخصومة لكان لنا في الشعر الأدبي كلام حسن يؤثر عن ذلك العصر ولكن شيئا من ذلك لم يكن، وحسبنا في هذا المقام أن نقول إن القرآن الكريم تحدى العرب ببلاغة نظمه ، وإن عجزهم عن الإتيان بمثله حملهم على أن يقروا أن هناك كلاما أبلغ من كلامهم ، وإن كان من جنس هذا الكلام >[2] .

ومن هنا يمكننا طرح السؤال وهو كيف أثر الدين الجديد وبالخصوص القرآن الكريم في أساليب العرب ومضامينها الشعرية ؟ وكيف كان موقف الرسول صلي الله عليه و سلم من الشعر؟ و كيف كان للدين الإسلامي دور في توجيه الشعر العربي ؟

[1] زبير دراقي : المستقصي في الأدب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية ، بن عكنون ، الجزائر ، د ت ، د ط، ص 4 .

[2] طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 32 .

2-1 الديــن :

يعتبر الدين الإسلامي أكبر حدث في تاريخ العرب، حيث تمكن من تغيير بنية المجتمع الجاهلي تغيرا جذريا، فقد قضى على العصبية القبلية وأحل محلها سيادة الدين، وهكذا زالت الفرقة وتوحدت بفضله القبائل العربية وأصبحت أمة واحدة، وهو دين متكامل في جميع شؤون الحياة لقوله تعالي "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا".[1]

< وقد عرف القرن الأول هجري شعراء قدروا التحول الحضاري الضخم الذي جاء به الدين الإسلامي حق قدره >[2]

[1] سورة المائدة/ الآية 03.

[2] حسن الأمراني : (الحداثة .... مالحداثة ؟) ، مجلة المشكاة ، بيروت لبنان، العدد 15 – 16 ، ص 117 .

عن طريق أدبهم الذي يعتبر رسالة راقية ساهمت في بناء شخصية الأمة، فقد كان الشاعر المسلم أو الأديب سيفا ضد الأعداد، فأخذ الشعر في هذه الفترة يساند هذا النظام الجديد الذي لم شمل القبائل العربية فصارت أمة واحدة .

وهذا التغيير الذي طال الجانب الديني ، ومس كذلك جميع جوانب الحياة، فأحدث فيها تغيرات جذرية، فعلى المستوى الاجتماعي تمكن الذين الإسلامي أن يغرس ويبث في نفوس الفرد المسلم قيما اجتماعية، ساعدت على تقوية الروابط الاجتماعية ووحدت الأفراد وجعلتهم متلاحمين ومتضامنين في أوقات الشدة والرخاء، فالدين الإسلامي حاول إعادة هيكلة البناء الاجتماعي وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية، فأعطى لكل فرد حقه وساوى بين الناس فالناس سواسية عند الله، وأزال الدين الجديد ملامح التفرقة بينهم على أساس اللون والجنس فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

أما سياسيا فقد أحدث الدين الإسلامي تغيرات كثيرة، خاصة بعد ظهور الذين بفترة وجيزة، ترتب عنه ظهور خلافات وصراعات بين مناصري الدين الإسلامي ومعارضيه، وقد كانت قريش أكثر القبائل العربية عداء والتي عملت على محاربته ومحاولة القضاء عليه، فأجبرت مناصري الدعوة على الهجرة إلى المدينة المنورة، ومن ثَم قامت حروب بين الأنصار والمشركين، وبدأت مواجهات بينها .

< وقد واكب " حسان بن ثابت " هذه المعارك الطواحن بشعره، وسجل الانتصارات والانهزامات، فكان سجلا للأحداث الدائرة بين المسلمين والمشركين، فأطلعنا بذلك عن أخبار

الرسول صلى الله عليه وسلم وهكذا كان شعره فاتحة للشعر السياسي الذي ازدهر في عهد بني أمية >[1] .

وبهذا عمل الذين على تجديد الحياة وتطورها والارتقاء بها ، لأنه حركة دائمة نحو الرقي والتطور ودعوة مستمرة للتجديد والتحديث، فكان عامل تطور الأمم ، ولقد جاء الإسلام إلى الناس كافة لا يختص بأمة دون أخرى، ولا يقتصر على زمن دون أخر، فهو دستور الكون، فقد توالت الأزمنة والعصور إلا أنه باق كما هو، يتماشى مع ضروريات كل عصر والتكيف مع التطورات الحاصلة في الحياة [2] .

وبذلك فالدين الإسلامي متكامل متناسق وشامل ومتوازن لم يتناول جانبا واحدا من جوانب الحياة بل عالج ومس كل جوانبها المختلفة .

لذا امتاز بالشمولية، إضافة إلى قدرته على إعطاء الحلول لجميع المشاكل، مع نظرة إنسانية وإرسال رسالة عالمية خيرة وقيم ومثل ، وهذه الخصائص تجعل منه مصيرا للعالم أجمع < والدين الإسلامي دين العصور مع كل ما يحدث من تغيرات واستمرار فهو الذي يجمع بين الحديث والسياسة والاجتماع والاقتصاد والدين والأدب، فقد نظم جميع شؤون الحياة تنظيما دقيقا متناسقا فالعقيدة الإسلامية تتميز بالرحابة لأنها ترتبط بعالم الغيبيات فهي

[1] زبير دراقي : المستقصي في الأدب الإسلامي، ص 38 .

[2] عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه المفاهمية والنقدية، جدار الكتاب العالي للنشر والتوزيع ، 2006، ط1 ، ص 67 .

تنظر إلى الحاضر من خلال الماضي، وستشرق المستقبل من خلال الماضي والحاضر، كل هذا أكسب الدين حداثة مطلقة إيجابية خادمة للإنسانية > [1] .

2-2 موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر :

لقد بعث الله سبحانه وتعالى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشرية جمعاء وذلك قصد توصيل الرسالة والأمانة ولم يعلمه الشعر ولكن ألقى عليه كلمات معجزة للمشركين الذين اعتبروها شعرا .

< نزه الله رسوله صلى الله عليه وسلم عن تعاطي الشعر فقال تعالي : < وما علمناه الشعر وما ينبغي له > وهو على كونه أفصح العرب إجماعا لم يكن ينشد بيتا تاما على وزنه وإنما كان ينشد الصدر أو العجز فحسب ولم يكن – إذا ألقى بيتا كاملا – يصحح وزنه بحال من الأحوال وإنما يخرجه عن الشعر فلا يلتئم على لسانه هذا بيت من الشعر للعباس بن مرداس يقول فيه :

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ العَبِيْدِ بَيْنَ عَيْينهِ والأَقْرعِ ؟

[1] عز الدين الخطيب التميمي وآخرون: نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الشهاب د ت .دط، ص 22.

فعندما أنشده الرسول قال :

أَتَجْعَلُ نَهْبِيْ ونَهْبَ العَبِيْدِ بَيْنَ الأَقْرَعِ وَعَيْينهِ ؟

فقال الناس : – بين عيينه والأقرع، فأعادها النبي : بين الأقرع وعيينه ولم يستقم له الوزن [1] .

ولمن يريد أن يستقرئ رأي الرسول صلى الله عليه وسلم في الشعر فإنه سيجد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم يذم الشعر مرة أخرى فهدان الرأيان متناقضان << وقوله : < لما نشأت بغضت إلى الأوثان وبغض إلى الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين، فعصمني الله منها، ثم لم أعد > ثم يأتي القرآن مؤيدا هذا الموقف ومزريا على الشعراء حيث يقول < والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا > وكان يحث المسلمين على الاستعاضة عنه بحفظ القرآن >> [2] هذا الموقف يذم الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر ، أما الموقف الثاني أنه كان وراء عمل الشعر وتعاطيه و إقامة وزنه وهو يحب الشعر ويتنشده و يثيب عليه و يمدحه.

[1] عبد العزيز عتيق : في الأدب الإسلامي والأموي ، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، 2001، ط1 ، ص 21 .
[2] المرجع السابق، ص 22 .

3- تأثير الإسلام في حياة العرب :

عمل ظهور الإسلام على تبديل وتغيير نفسية الإنسان العربي وكذلك شخصيته ونمط تفكيره، فقد كان نتيجة حتمية للحالة السائدة في ذلك العصر، وهذا عن طريق التعاليم السامية التي جاء بها ، والقائمة على الإيمان بوحدانية الله عز وجل ، والخضوع له وحده، وعلى العمل الصالح ونبذ كل الفواحش والرذائل وعلى التآخي والتآزر والتحاب في الله عز وجل، وعلى التعاون على البر والتقوى، وعلى الصبر والقناعة والتواضع، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى التعلم والتدبر والتأمل فيما خلقه الله من مخلوقات وكائنات وغيرها فالإسلام كان حقيقة ثورة على الماضي وحربا على الجاهلية ونظاما جديدا للحياة وبفضله اتحدت وتوحدت القبائل العربية وصارت أمة واحدة تسعى لتحقيق هدف مشترك وواحد هو نشر هذا الدين (الإسلام) في كل بقاع المعمورة [1] .

[1] زبير دراقي : المستقصي في الأدب الإسلامي، ص 4 .

وبما أن الحياة الأدبية هي جزء ملازم لحياة الإنسان العربي ، فإننا لا يمكننا أن نتحدث عن حياة الفرد العربي في القديم دون أن نلتمس آفاقا أدبية أو لغوية لازمة هذا الفرد وبخاصة في مجال الشعر < أما على الصعيد الأدبي واللغوي نجد أن القرآن الكريم قد أثر في اللغة والأدب العربيين ، حيث وحد لسان العرب وجمعهم على لهجة واحدة هي لهجة قريش الفصيحة والتي نزل القرآن الكريم بها على النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى أساس أن الفصاحة والبيان أقرب إلى نفوس القريشيين ، فقد اجتذبهم القرآن الكريم ببلاغة وسحر بيان وإعجازه ، وبهذا انتشرت لهجة قريش وتوسع نفوذها مع انتشار الإسلام في البلدان المفتوحة [1] .

فصارت هذه اللهجة لغة الكثير من الشعوب، ويرجع الفضل في هذا كله إلى القرآن الكريم الذي حفظ اللغة العربية من الاندثار وإبقائها حية دائما .

كما ساهم كذلك في تطوير أساليبها وتهذيب ألفاظها، وإغنائها بمفردات إسلامية جديدة لم تكن عند عرب الجاهلية ، فأصبحت هذه اللغة قادرة على التعبير عن هذا التحول الذي شهده العالم الإسلامي ، ومن أجل هذا كله قامت علوم كثيرة ومختلفة ، كالنحو والصرف لدفع اللحن عن القرآن الكريم والبلاغة لتبيان إعجازه والقراءات والتجويد لحن ترتيله والتفسير والفقه لاستنباط أحكام الشريعة منه [2] .

[1] المرجع السابق ، ص 21 .

[2] المرجع نفسه ، ص 22 .

وعن تأثيره في الأدب الإسلامي – شعره ونثره – الذي أصبح يعبر عن دعوة الله فأدخل فيه التوحيد ، وزرع مكارم الأخلاق، وهذب من حوشيه لفظه وغربيه، وبذلك انتقل الشعر والنثر من مرحلة إلى مرحلة، فقد كان يعبر عن أهواء النفس، والعنف والانتقام، والشجاعة والتباهي بالظلم فأصبح ينشر المبادئ الأخلاقية التي تحلى بها العرب قبل الإسلام، فكان لها الأثر الواضح في تحمل مشاق نشر الدعوة الإسلامية في نفوس الشعوب[1] .

وعلى هذا أصبح الأدباء لا يقولون إلا ما أمره به الله سبحانه وتعالى – وأقره الرسول الكريم < ص > .

< فعلى الصعيد الديني قضى الإسلام على الوثنية والأصنام والشرك بالله ، هذه الملل التي كان الجاهليون يقومون بعبادتها وأكد الإسلام على التوحيد المطلق لله سبحانه وتعالى والتوجه له بالعبادة وحده >[2] كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالي: < وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ >[3] ،وحارب الشرك بالله لأنه وليد الجهل والوهم، ودعا وأكد أن هناك حياة أخرى بعد الموت يحاسب فيها كل إنسان على ما آتى في الدنيا من خير أو شر < والإيمان بأن الله عادل يجازي على الخير والشر حتما،فإذا لم يتم هدا العدل في الدنيا

[1] جعفر بن السيد باقر الحسني : تأثير الإسلام في حياة العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان ، دت، دط، ص 25.

[2] جعفر بن السيد باقر الحسني : تأثير الإسلام في حياة العرب ، ص 29.

[3] سورة البقرة /الآية 163.

فلابد حتما أن يتم في الآخرة >[1] ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى : < أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ >[2] .

وقال تعالى أيضا : < لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ >[3]

< وفرض الإسلام على معتنقيه عبادات جديدة ألفت بين قلوبهم، ووحدت صفوفهم، كالصلاة والصوم والزكاة والحج > [4] .

فالصلاة : هي التي تمد الإنسان بالقوى الروحية، وتخلق فيه عقيدة الطاعة لأوامر الله تعالى .

والصوم : طريقة عملية لتربية النفس وصفاتها وتطهير القلوب، وتقوية الإرادة، إضافة إلى فوائد صحية .

والزكاة: تجعل للفقير حقا في أموال الأغنياء وذلك لحفظ التوازن بين طبقات المجتمع .

وفي الحج : يجتمع المسلمون من كل فج عميق في بيت الله، وهذا تأكيدا على إيمانهم العميق، وسعيهم لطلب المغفرة والرحمة من الله تعالي .

---

[1] جعفر بن السيد باقر الحسيني: تأثير الإسلام في حياة العرب، ص30.
[2] سورة المؤمنون/ الآية 115.
[3] سورة البقرة /الآية 284.
[4] جعفر بن السيد باقر الحسني : تأثير الإسلام في حياة العرب ، ص 32.

فكان لهذه التعاليم الجديدة التي جاء بها الدين الإسلامي أثر واضح في رفع المستوى العقلي للعرب، وتغيير قيمة الأشياء < كان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء وانخفضت قيمة أخرى وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس >[1]

أما على الصعيد الاقتصادي < فالنظام الاقتصادي الإسلامي جزء من كل متناسق ومتماسك هو " الشريعة الإسلامية " التي تجمع بين خلوها من الإفراط في القيود ومسايرتها لصالح الناس على اختلاف أماكنهم و أزمنتهم بما يجمع بين المصلحة وحكمة النص والمبدأ العام >[2]

وهذا ما يعني بأن النظام قائم على التوحيد والأخلاق والتأكيد على أن الناس متساوون في الحقوق والواجبات مهما اختلفوا ، سواء كان هذا الاختلاف من حيث اللون أو الثروة فالأصل واحد .

< أما على الصعيد الخلقي فقد كانت للعرب بعض الصفات الخلقية كالكرم والشجاعة والتضحية، وحماية الجار وغيرها ، هذا لا ينفي أنه كانت توجه صفات أخرى نهى عنها الإسلام ، كالفواحش ما ظهر منها وما بطن والظلم وسفك الدماء ، وهتك الحرمات، وأكل

[1] أحمد أمين : فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969 ، ط10 ،ص 75 .

[2] أنور الجندي : معلمة الإسلام ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دت ، ط1 ، ص 09 .

الربى ، والغش في البيع ، وشهادة الزور، والهزأ بالناس والتنابز بالألقاب والإسراف في الإنفاق ، وحرم عليهم الخمر والميسر لأنها مصدر الآفات والرزايا >[1]

< كما حث الإسلام كذلك على العلم بغية القضاء على الجهل وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بنوعيه ، نور الهداية ونور العقل فالإسلام لا يتعارض مع العلم >[2].

فقد جاء في القرآن الكريم تنويه بقوله تعالى : < وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا >[3].

كما نوه بالعلماء في قوله : < إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء >[4].

< وفي آيات أخرى نجد أن الله تعالى فرق بين العلماء وغيرهم من البشر >[5] في قوله جلت قدرته : < قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ >[6] .

< كما أعد الله للعلماء منزلة عالية في الجنة لا تساويها إلا منزلة المؤمنين > [7]

< فكان في التعليم ما يحث على العطف والتحاب والتعاون والتآخي والرحمة، فاكتسبوا الرقة في القلوب وأبعدوا خشونتهم وتركوا الفخر الجاهلي >[8] .

4- تأثير القرآن في الأساليب الشعرية :

---

[1] زبير دراقي : المستقصي في الأدب الإسلامي، ص 05 .

[2] المرجع نفسه، ص 07 .

[3] سورة طه/الآية 114.

[4] سورة فاطر/الآية 28.

[5] جعفر بن السيد باقر الحسني : تأثير الإسلام في حياة العرب ،ص 35.

[6] سورة الزمر/الآية 09.

[7] جعفر بن السيد بن السيد : المرجع السابق ،ص 36.

[8] زبير دراقي :المستقصي في الأدب الإسلامي ، ص 07 .

لقد التزم شعراء الدعوة الإسلامية بالنهج الإسلامي حيث اعتمدوا على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف حيث كانوا يستمدون منه أفكارهم وألفاظهم ومعانيهم حيث نلاحظ أن هذا التأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف لم يقف عند هذا الحد بل تعداه ليشمل الأغراض الشعرية التي كانت سائدة قبل الإسلام من مدح وفخر ... إلخ .

< فقد تحول المديح مثلا من غرض إلابهة والفخامة إلى مظهر الإشادة بالرسالة الإسلامية وبالدين الجديد ومن حمل هذا الدين الحنيف، وما يحتوى من تعاليم لإنارة قلوب المسلمين المؤمنين، كما أن الشاعر الإسلامي عندما يتناول غرض الفخر فإنه لا يفخر بنفسه وقبيلته وإنما أصبح يفخر بالإسلام وبقوة المسلمين وكذا الحال بالنسبة لبقية الأغراض الشعرية الأخرى >[1] .

ومن هنا وجد الشاعر نفسه أمام ثروة لفظية كبيرة وذلك لأخذه من تعابير القرآن الكريم، وألفاظه ، فأصبح يختار منها ما يناسبه ويناسب الدعوة الإسلامية .

< والمطلع على شعر هؤلاء الشعراء الإسلاميين وخاصة الشعر الذي قيل في الفتوحات الإسلامية، يجد العديد من الألفاظ الإسلامية الجديدة التي أخدها شاعر الفتوح من القرآن الكريم والحديث النبوي ووظفها في شعره وتأثر بها >[2]

ومن الواضح أن الألفاظ والمفردات الإسلامية لم يكن يستعملها الشعراء في أشعارهم .

[1] حسين علي الداخلي : البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010 ، ط1 ، ص20.

[2] المرجع نفسه ، ص 21 .

< ولم يستطع الشعراء استيعابها مبكرا لتدخل في صلب أشعارهم ولو نظرنا إلى قصيدة حسان بن ثابت التي كانت أول شعر له في الإسلام، لوجدناها خالية من أية مسحة إسلامية أو لفظ يشعر بأنها قد نظمت في ظلال الدين ولكن بمرور الأيام وإنتشار الإسلام، وتوالي نزول القرآن ودوام تلاوته والنظر في آياته بدأت تلك الألفاظ تتسلل إلى أشعارهم وتتردد على سفاههم >[1]

كما أن شعراء الفتوحات الإسلامية قد تكررت في أشعارهم الألفاظ الإسلامية ومنها ذكر اسم الله سبحانه وتعالي :

< فقد ذكر السعيد بن عامر لفظ (الله) صريحا في شعره الذي قاله في فتح دمشق ومنازلة الروم فقال :

إلى شَبلِ جَرَّاحٍ وصَحبٌ بَنينَا لِنَنْصُرهُ واللهُ لِلدِّينِ يَنْصُرُ

عَلَى كلِّ كَفَارٍ لَعِيْنِ مُعَانِدٍ تَراهُ عَلى الصُلبَانِ بِاللهِ يَكْفُرُ >[2]

هذا على مستوى الألفاظ والمفردات أما من حيث المعاني والأفكار التي نعتبر الألفاظ هي وعاء لمعاني وأفكار الشعر في الفتوحات الإسلامية .

< ولذلك فقد كان للقرآن الكريم الأثر الكبير على عقول العرب وقلوبهم، ومن ثم حاولوا مجاراة أسلوبه المتفردة والنهج على منواله، فاخذوا من معاينه واقتبسوا الكثير من آياته في

[1] المرجع السابق، ص 21 .

[2] المرجع نفسه،ص 22 .

أشعارهم، وخاصة في مواقف المنازلة والمقارعة والتي تستدعي ذلك لأجل التأثير في نفوس وقلوب سامعيه > [1] .

والكثير من الشعراء قد استعملوا المعاني القرآنية في شعرهم فاختلفت اقتباساتهم من شاعر لآخر .

< وما تجدر الإشارة إليه هو أن آخذو اقتباس هؤولاء الشعراء لهذه المعاني القرآنية لم يكن يجري بنسق واحد، بل ورد على أنواع متعددة، فمنهم من اقتبس آيات قرآنية وادخل عليها تحويرا بسيطا أو كبيرا من تقديم أو تأخير لمراعاة ما يتطلبه الوزن والقافية، ومن الشعراء من أخد معنى الآية القرآنية وأظهرها في شعره بأسلوبه وهناك صنف ثالث من الشعراء من يأخذ الآية القرآنية ويضمنها شعره دون تغيير أو تبديل، ولكن هذا النوع قليل إذا ما قيس بباقي الأنواع الأخرى > [2] .

كما أنه توجد عدة اقتباسات من معاني القرآن الكريم قالها معظم الشعراء في الفتوحات الإسلامية .

< ما جاء في قول رجل من المسلمين في معركة القادسية قال :

نقاتل حتى أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم

[1] المرجع نفسه، ص 37 .

[2] المرجع السابق، ص 38 .

فهو مأخوذ من قوله تعالى < وكان حقا علينا نصر المؤمنين > [1] .

ونجد أيضا الكثير من المعاني القرآنية الأخرى مثل : الإيمان بالله والتأكيد على أن الله قريب من عبادة ويستجيب للدعاء < فنجد راجز من المسلمين أخذ هذا المعنى ووظفه في شعره في معركة اليرموك إيمانا منه بأن الله سيجيب دعوته لأنه قاتل تلبية لنداء الله سبحانه قال :

دعوا هرقلا ودعونا الرحمن والله قد أخزى جنود باهان> [2]

فنجد أن هذا المعنى هو مأخود من قوله تعالى : < وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ>[3] .

وهناك أيضا " أمور متعلقة بوحدانية الله وكذلك بأن الله ينصر المؤمنين ويثبت أقدامهم ويشفي صدورهم من كل الأعداء، < وهذا ما جاء قي قول (زهير بن عبد شمس) يوم القادسية :

رستم ذا النخوة والدمقس اطلعت ربي وشفيت نفسي [4]

وزهير هنا يأخذ هذا المعنى من قوله تعالي : <قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ>[1] .هناك صفة للذات الإلهية حيث ذكرها الكثير

---

[1] المرجع نفسه ، ص 39 .

[2] المرجع السابق ، ص 40 .

[3] سورة البقرة/ الآية 186.

[4] حسين علي الداخلي : البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، ص 41 .

من الشعراء الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية حيث أن نعم الله كثيرة على عباده .

< فنجد ذكر صفة الكرم لله سبحانه وتعالى عند (خالد بن الوليد) في فتح دمشق قال :

لك الحمد مولاي على كل نعمة وشكرا لما أوليت من سابغ النعم >[2]

فقد أخذ (خالد بن الوليد) هذا من قوله تعالي : < وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا>[3]

وقوله : < وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ> [4].

أما فيما يخص الرسول صلى الله عليه وسلم فقد وصفه العديد من الشعراء بأوصاف وقد اقتبسوها من القرآن الكريم < كالتي نجدها في قول (الفضل بن عقيل) فتح البهنسا قال:

أنا ابن عم أحمد الرسول المرسل المبعوث في التنزيل >[5]

فهذا مأخوذ من قوله تعالي < إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّا > [6].

وأما عن مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند الله سبحانه وتعالى فهي عظيمة <فقد أمر الله الملائكة بأن يصلوا معه على محمد (صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته

[1] سورة التوبة /الآية 14.

[2] حسين علي الداخلي : البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، ص 41 .

[3] سورة النحل/ الآية 18.

[4] سورة النحل/ الآية 53.

[5] حسين علي الداخلي : البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، ص 42 .

[6] سورة مريم /الآية 54.

الأطياب (عليهم السلام) ، فقد أخذ شعراء الفتوح هذه الفكرة الإسلامية ووظفوها في أشعارهم فنجد " أبا الهول " اقتبسها في قوله عندما نزل الروم .

ذاك رسول الملك المجيد وآله صلى عليه الناصر الحميد

وكذلك جاءت هذه الفكرة في قول (عمار بن ياسر) في فتح البهنسا فقال :

واحمي لدين المصطفى المختار صلى عليه الواحد القهار

وآله و صحبه الأخيار ما بان ليل واضا نهار > [1]

فهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى : < إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ>[2].

5- بين الشعر والقرآن :

لقد أنزل الله القرآن معجزا ببيانه، حتى يتحدى العرب كأمة شاعرة، متمكنة من صنوف البليغ وأشكال البديع .

إن هذه الصدمة أذهلت الشعراء وعقدت ألسنتهم ووقفوا باهتين < والقرآن الكريم تحدى العرب وأمعن في التحدي ووقف العرب إزاءه ذاهلين حيارى ، لا يدرون كيف يعارضونه، ولا يجدون الى تلك المعارضة سبيلا >[3]، لقد وقف هؤلاء بين أمرين: هل يتوقفون عن قول

[1] حسين علي الداخلي : البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، ص 43 .
[2] سورة الأحزاب/الآية 56.
[3] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 32 .

الشعر ؟ لأنهم وجدوا من ينافسهم، واكتشفوا نصا بليغا أبلغ من نصهم؟ أم يحاولوا محاكاة هذا النص ، ما السبيل إلى ذلك ؟

< فالقرآن تحدى العرب ببلاغة نظمه، وإن عجزهم عن الإتيان بمثله حملهم على أن يقروا أن هناك كلاما أبلغ من كلامهم، وإن كان من جنس هذا الكلام >[1]، فقد انتصروا إلى الرأي القائل بجعل هذا النص منطلقا لإبداعهم، وحاولوا النهل منه لخدمة الدين الجديد ، سيما عندما وقف الرسول صلى الله عليه وسلم موقف الاعتدال، فهو القائل ، إن من البيان لسحرا .

فالقرآن لم يلغ الشعر ، فهو < سلاح ماض من الأسلحة العربية لا يستغني عنها صاحب دعوة>[2] فهو بمثابة منبر التشجيع لقبول هذا الدين الجديد، وكان على الرسول استغلال هذا الوضع لما يعلم من كون العرب أمة شاعرة، فدعا حسان بن ثابت وغيره إلى تسخير جهودهم لخدمة الدين ونشر القرآن .

كما أن القرآن الكريم كان له الأثر الكبير من الفصاحة والبلاغة في انقطاع كثير من الشعراء عن قول الشعر < كلبيد وهو فحل من فحول الجاهلية وروى أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتا واحدا وهو :

[1] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 32 .

[2] المرجع نفسه ، ص 32 .

الحمد لله إذا لم يأتي أجلي حتى كساني الإسلام سربالا >[1]

فالشاعر هنا يحمد الله على إدراكه الإسلام وكما هو معلوم فهو توقف عن قول الشعر بعد دخوله في الدين الجديد .

ومن بين مظاهر محاكاة النص القرآني الكريم من ألفاظ ومعاني ووظفوها وصاغوا على نسقها مقطوعات شعرية ونذكر هنا بعض هذه النماذج تبين من خلالها الآية وما حاكاها من شعر .

يقول تعالى: < وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ>[2] .

ومن الآية الكريمة نجد أن الشاعر " معن بن أوس" قد تأثر بها وأخذ منها < فقال :

فمازلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم

وخفضني له مني الجناح تألفي لتدنيه منه القرابة والرحم

وصبري على أشياء منه تربيني وكظمي عن غيطي وقد ينفع الكظم>[3]

ومن هنا نجد أنه اقتبس من القرآن بعض الألفاظ وهي : خفضني – الجناح وهي ألفاظ واردة في الآية الكريمة : أخفض ، جناح فقد وظفها في أبياته الشعرية

[1] علي الخطيب : دراسات في الأدب في عصر صدر الإسلام، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، 2012 ، دط ، ص 85 .

[2] سورة الإسراء /الآية 24.

[3] علي الخطيب : دراسات في الأدب في عصر صدر الإسلام، ص 87 .

ويقول تعالى : < يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ >[1] .

< أخذه النابعة الجعدي فقال :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

المولج الليل في النهار وفي الل يل نهارا يفرج الظلما

الحافظ الرافع السماء على ال أرض ولم يبن تحتها دعما >[2]

وهنا النابغة الجعدي يأخذ أو يقتبس من القرآن بعض الألفاظ ويوظفها في أبياته وهي : المولج ، الليل ، النهار أما في الآية فقد وردت هذه الألفاظ : يولج ، اليل ، النهار.

لقد دعى القرآن إلى الجهاد في سبيل إعلاء الدين ونصرة الإسلام ورفع رايته وإعلاء الحق < ولما كان الجهاد واجب على كل إنسان مسلم بالغ فلا عذر لأي شخص أن يتخلف عنه إذا دعى داعي الجهاد في سبيل الله تعالى، إلا إذا كان الإنسان المكلف مريضا أو أعرجا أو أعمى، فنجد " النابغة الجعدي " ضمن هذه الفكرة في شعره عندما استجاب هو لداعي الجهاد، فلم يلتفت إلى أي دعوة تؤخره عنه حتى ولو كانت الدعوة من أقرب الناس ، قال :

ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا[1]

[1] سورة الحج/الآية 61.

[2] علي الخطيب : دراسات في الأدب في عصر صدر الإسلام، ص 87 .

ومن هنا يتضح لنا بأن هذا المعنى مقتبس ومأخوذ من قوله تعالي : < لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ...>[2] .

وأيضا نجد < قول (عاصم بن ثابت) في غزوة الرجيع قال :

وكل ماحم الإله نازل بالمرء والمرء إليه آئل > [3]

وهنا نجد أن عاصم قد أخذها من قوله تعالى : < وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا >[4]

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن القرآن لم يلغ الشعر بل وسع من معانيه وأثرى النصوص الشعرية بألفاظ مستمدة من القاموس القرآني وبالتالي فالشعراء وجدوا طريقة فذة في معارضة القرآن وذلك بالنسج على منواله انطلاقا من ألفاظه ومعانيه .

[1] حسين علي الذخيلي : البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، ص 46 .
[2] سورة الفتح/الآية 17.
[3] علي الخطيب : دراسات في الأدب في عصر صدر الإسلام، ص 47 .
[4] سورة الأحزاب /الآية 38.

1 – نبذة عن حسان بن ثابت :

1-1 أصله ونسبه :

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي، أمه هي الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان وهي أيضا من بني الخزرج إحدى طوائف وقبائل الأنصار في الجاهلية، وكنيته أبو عبد الرحمن وأبو الوليد ونسبه عربي ينتهي إلى قحطان [1]

1-2 مولده ونشأته :

إن تاريخ ميلاد حسان لم يضبط ولم يعرف بدقة ، إلا أنه إذا اعتبرنا بأنه عاش مائة وعشرين سنة وتوفي عام (54 هـ – 673 م) فحسان يكون قد ولد بحوالي ست وستين سنة قبل هجرة النبي < ص > أي حوالي 553 م ، وكانت يثرب هي المدينة التي ولد بها الشاعر وفيها نشأ في قبيلته الخزرج ، حيث كان ينتقل بين يثرب واليمن في شبابه [2].

1-3 حسان شاعر الأنصار و الغساسنة في الجاهلية :

منذ أن تفتحت قريحة حسان الشعرية وأخذ ينظم القوافي التزم في بداية أمره بأن يكون شاعر قبيلته على عادة الجاهلين، لكن الشاعر فيما بعد اتصل بالغساسنة وملوك الحيرة

[1] ينظر حسان بن ثابت : الديوان ، تح عبد الله منرة ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 2002 ، ط1 ، ص 07 .

[2] ينظر بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط6 ، ص 333 وما بعدها .

فمدحهم ونال الخطوة والمكانة عندهم ، ويروي صاحب العقد الفريد أن حسان اتصل بالملك الحارث الجفني وهو أحد أشهر ملوك غسان فدخل عليه ومدحه برائية شهيرة : [1]

وَبَنَيتُ أَنَ أبا مُنذرٍ يُسَاميكَ لِلحَدثِ الأكبرِ

فِذَالِكَ أَحسنُ من وَجههِ وأمكَ خيرٌ من الُمنذرِ

ويُسرى يَديكَ إذا اعَسرتِ يَحمُنَ يَديهِ فلا تَمْتُرِ [2]

وظل حسان منذ هذه القصيدة يتردد على الغساسنة وينال الجوائز والعطايا حتى ظهر الاسلام و هاجر النبي وأعلن الشاعر إسلامه .

1-4 إسلام حسان

هجا حسان بن ثابت النبي < ص > حين كان النبي في أوائل أيام الدعوة، لكن حسان حين هجرة النبي <ص> كان من أوائل الذين أسلموا مع الأوس والخزرج وحسن إسلامه واستقام وصار من أشعر شعراء الدين الجديد [3] .

1-5 حسان شاعر الرسول :

[1] ينظرابن عبد ربه: العقد الفريد ، تح محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية الكبرى ، 1952 ، ط1 ، ج2 ، ص 09.

[2] حسان بن ثابت : الديوان ، ص 111 .

[3] ينظر بطرس البستاني : المرجع السابق ، ص 336 .

تعرض شعراء المشركين كعبد الله بن الزبعري ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمر بن العاص ، بالهجاء للنبي <ص> ، فطلب النبي <ص> الذود عنه فقال : < ما الذي يمنح الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم > فقال له حسان : أنها لها يا رسول الله : فقال النبي : < كيف نفحوهم و أنا منهم > فقال حسان : < أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين > فقال له النبي : < أهجم و معك روح القدس > [1]

ومنذ ذلك اليوم وحسان يهجو المشركين بلسانه ويدافع عن النبي والإسلام فقال النبي < أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى > [2] وقال الحطيئة < أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب >[3]

كما يعد مدح حسان للنبي <ص> من أجود وأحسن ما قيل في هذا الغرض ذلك لأن حسان لم يقل المدح إلا صادقا فهو لا يرجو كسبا ولا منزلة وإنما كان مدحه للعقيدة والدين الجديد بتسوية الصدق والصفاء فهو القائل في النبي <ص> :

وأحسنُ مِنكَ لمْ تَرَقَطُ عَينيْ وأجملُ مِنكَ لم تلدِ النِساءُ

خُلقتَ مبرءًا من كلِّ عَيبٍ كأنكَ قد خُلقتَ كما تشاءُ [4]

[1] حسان بن ثابت : الديوان ، ص 07 .

[2] عزيزة فوال بابتي : معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر لبنان ، دت ، ط1 ص 102 .

[3] حسان بن ثابت : الديوان ، ص 07 .

[4] حسان بن ثابت : الديوان ، ص 17 .

وقال يهجوا المشركين ويدافع عن النبي :

ألا أبلغُ أبا سفيانَ عنِّي بِأنَّكَ نَحْبُ جَوفِ هواءُ

هَجوتَ مُحمدًا فأجبتُ عنهُ وعِندَ اللهِ فِيْ ذَلِكَ الجَزاءُ

أَتهْجُوهُ ولَستَ لهُ بكفءٍ فَشرُّكمَا لِخيْرِ كُمَا الفِداءُ

هَجوتَ مُباركاً براً حَنيفاً أَمينَ اللهِ شِيمتهُ الوَفاءُ

فَإنَّ أَبيْ وَوَالدهُ وعِرضيْ لِعرضِ مُحمدٍ مِنْكُمْ وَفاءُ [1]

ولهذا كان حسان أشعر شعراء النبي <ص> حاملا بشعره راية الإسلام والمسلمين

1-6 حسان وغزوات النبي <ص>

طالما وصفت الأبحاث والدراسات الأدبية والتاريخية حسانا بالجبن ، صحيح ومعلوم أن الشاعر لم يخص ولم يخرج وكان يتخلف مع النساء والصبية في المدينة ، إلا أن صحابيا جليلا وشاعرا فحلا كحسان ذاد عن النبي <ص>بلسانه أفضل ذود لا ينبغي أن نصفه بالجبان ، لأن النبي أصلا قد عذر حسانا ولم يلمه في هذا ، لأن الشاعر كان فارسا بلسانه [2] .

1-7 وفاتـــه :

[1] المصدر نفسه ، ص 16 .

[2] ينظر بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر بالإسلام ، ص 341 .

عاش حسان حوالي مائة وعشرين سنة ، ستين منها في الجاهلية وستين في الإسلام وتوفي سنة (54هـ - 673 م) أيام الدولة الأموية [1] .

2- تعريف المدح :

[1] ينضر المرجع السابق : ص نفسها .

2-1 المدح لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور : < المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء، يقال : مَدَحتُهُ مِدْحَةً واحدة ومَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا ومِدْحَةً ، هذا قول بعضهم والصحيح أن المدح المصدر والمِدْحَةُ الاسم والجمع مِدَحٌ والأمادَيحُ .

قال أبو دئيب :

لَوْ كَانَ مِدْحَهُ حَيَّ مُنْشِرًا أحدًا أَحْيَى أَبَاكُنَّ – يَا لَيْلَى – الأماديح

والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة **و الأمدوحة ورجل مَادِحٌ من قوم** مُدَّحٍ ومديح وممدوح >[1] .

وجاء في (أساس البلاغة) للزمخشري : < مدح : مدحه وامتدحه وممتدح وممدح ، يمدح بكل لسان والعرب تتمدح بالسخاء ، وهو يمتدح إلى الناس أي يطلب مدحهم ، وعندي مدح حسن ومديح ومدائح ومدحه و أمدوحة وأماديح .[2]

2-2 المدح اصطلاحا :

[1] ابن منظور لسان العرب – مادة م . د . ح – ص2 / 452 .

[2] الزمخشري (محمد بن عمر) : أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود – دار المعرفة بيروت – دت،دط، ص 324 .

< هو تعداد الجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة ، وإظهارها للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا>[1] .

ويعتبر المدح من الأغراض الشعرية الأساسية التي تناولتها القصيدة العربية : <إن القصيدة العربية تناولت أغراضا أربعة وهي : المدح والهجاء والحكمة واللهو ، ثم يتفرع من كل صنف منها فروع له ، فيكون من المدح المراثي والافتخار والشكر واللطف في المسألة ويكون من الهجاء الذم والعتب ، ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وما شاكل ذلك من نوعه ، ويكون من اللهو والطرد وصفة الخمر و المجون وما أشبه ذلك وقاربه > [2] على حد تعبير قدامه بن جعفر .

وهناك بعض النقاد العرب ومن بينهم < محمد غنيمي هلال " يقصر القول في أغراض الشعر العربي القديم على جنسين من الأجناس الأدبية وهما : المدح والهجاء .

2-3 المدح في الجاهلية :

يعتبر ظهور المدح في أشعار الجاهليين في وقت مبكر حيث أن الشاعر الجاهلي لم يكن يندفع إلى المدح يقصده أو بهدف معين بل إعجابا بالشمائل والأخلاق ، كالعقل والعدل والشجاعة، والعفة وتعتبر هذه القيم إنسانية خالدة كما أنه كان الفضل للشاعر الجاهلي في ترويج هذه الأخلاق، والحث عليها في قبيلته أولا ثم نشرها في مجتمعه وترسيخها في النفوس

[1] جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين بيروت ، 1984 ، ط2 ، ص 245 .

[2] قدامة بن جعفر : نقد النثر ، القاهرة ، 1938 د ط ، ص 81 .

وكان شعر المدح فنا راقيا كان الشعراء يصنعونه للفكاهة أو للمكافأة < وكانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وإنما يصنعه أحدهم فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاما لها حتى نشأ النابغة الدبياني " فمدح الملوك وقبل ، الصلة على الشعر ، وخضع للنعمان بن المنذر فسقطت منزلته.

وتكسب زهير بن أبي سلمى يسيرا مع " هرم بن سنان " فلما جاء " الأعشى " جعل الشعر متجرا يتجر به نحو البلدان ، وقصد به حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته ، وأكثر العلماء يقولون أنه أول من سأل بشعره > [1] .

كما أن قيم المدح كانت مشتركة ينهل منها الشعراء المداحون فلا يتجاوزونها، وهي: العقل والعفة والعدل والشجاعة، كان القاصد بالمدح بها مصيبا وبما سواها مخطئا.

2-4 المدح في عهد النبوة :

وإنه مع مجيء الإسلام حدث تغير جدري على مستوى الحياة الإنسانية وبخاصة في شبه الجزيرة العربية كما أن هذه القيم والتعاليم الإسلامية أحدثت إرباكا للمجتمع الجاهلي فحل التعصب للقبيلة الانضواء تحت لواء العقيدة الإسلامية ، هذا من الناحية الاجتماعية ، أما من الناحية الفنية فقد انقسم الشعراء إلى فريقين :

- فرقة تناصب الإسلام العداء وتهجوا النبي صلى الله عليه وسلم .

[1] ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية ، صيدا، 2001 ط 1 ، ص 69 .

- وفرقة أخرى تدافع عن الإسلام و تمدح النبي صلى الله عليه وسلم .

كما كان للقيم التي جاء الإسلام والفضائل الجديدة كالاعتزاز بنصرة الدين والدعوة إلى اعتناق مبادئه الأثر الكبير في تطوير فن المدح مند القرن الأول هجري .

فقد تفرع شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم : حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى التغني بهذه الفضائل ومحاربة المشركين بالشعر عن طريق هجائهم والرد عليهم .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث الشعراء المسلمين على الرد على هجاء المشركين .

وللشعر في كل زمن وفي عهد النبوة بصفة خاصة دور خطير لأنه من أكثر الوسائل الإعلامية تأثيرا أنذاك الأمر الذي ترك الشعراء المشركين يستغلونه في حربهم ضد الإسلام ، وهجاء النبي وأصحابه، والنيل من أعراضهم وعقيدتهم ، فكانت ردة الفعل التي لا بد منها ضد هذه الحملة المسعورة التي يقودها شعراء الكفر والشرك منهم " عبد الله بن الزبعري " و " أبو سفيان بن الحارث " بن عبد المطلب " قبل إسلامها ، فكان أن كلف النبي صلى الله عليه وسلم فريق الدفاع عن العقيدة : حسان وعبد الله وكعب للتصدي والمقاومة وكان شاعرنا حسان بمثابة الصحفي في وقتنا الراهن يحمل لواء الإسلام عاليا ، ويصب الحمم المهلكة على أعدائه، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحثه على ذلك فيقول له < أَهْجُهُمْ – أو هاجهم – وجبريل معك > رواه البخاري عن أبي هريرة .

وروي أنه لما نزل قوله تعالى : < والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الدين ظلموا أي منقلب ينقلبون > < جاء "حسان بن ثابت " و " عبد الله بن رواحة " وكعب بن مالك " إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهم يبكون – قالوا : - قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعر ، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم : < إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات > قال : أنتم < وذكروا الله كثيرا > ، قال أنتم ، < وانتصروا من بعد ما ظلموا > ، قال أنتم>[1] رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحاق .

ويعلق سيد قطب – رحمه الله – في تفسيره في (ظلال القرآن) في معرض تفسيره لهذه الآيات : < والشعراء يتبعهم الغاوون ....> إلى أخر الآيات ، بقوله : < فهم يتبعون المزاج واللهو، ومن ثم يتبعهم الغاوون تلك العوالم الموهومة وليس لها واقع و لا حقيقة في دنيا الناس ... ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته – كما يفهم من ظاهرة الألفاظ- إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن ، منهج الأهواء و الانفعالات التي لا ضابط لها ، ومنهج الأحلام الموهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها وأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام و تتضح بتأثراتها الإسلامية شعرا و فنا ، وتعمل في الوقت ذاته

[1] إسماعيل يحي بن كثير : تفسير ابن كثير ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان 1986 ، ط 2، ص 219 .

على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع ، ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها وتدع الحياة – كما هو مشبوها ومتخلفا قبيحا >[1] .

والذي ينبغي الإشارة إليه ، أن فن المديح قد اعتراه بعض الفتور خلال الفترة الإسلامية ، لأنه فن يشيد بمظاهر الآلهة والكبرياء ، وهي أمور نهى الدين الإسلامي عنها ، وأوصى بخلافها كخفض الجناح والتواضع فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يعظم كما تعظم الملوك ، ويكره أن يمدح كما يمدحون .

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشرق ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ط11 ص 2621 ، 2623 .

3- مستويات الأثر الديني :

3-1 على مستوى الألفاظ :

أ- الألفاظ الإسلامية ودلالاتها الجديدة :

لقد استقى الشعر في صدر الإسلام لغته من القرآن الكريم فمن فضائل القرآن الكريم على اللغة عموما وعلى لغة الشعر خصوصا ، أن هذب حوشي ألفاظها، وأزال وحشيتها ووسع في مدلول الكلمات وأثراها بالمعاني الجديدة .

فمثلا " الصلاة " كانت تعني في الجاهلية الدعاء ، وبعد مجيء الدين الإسلامي أصبحت فرضا .

و الزكاة كانت تعني النماء وأصبحت ركنا من أركان الإسلام .

وكذلك الحال بالنسبة " للحج " فقد كان يعني القصيدة أي الإتجاه وأصبح ركنا من أركان الإسلام كما جاء القرآن الكريم بألفاظ جديدة لم يعرفها العرب من قبل فتأثر بها الشعراء ، واستخدموها في أشعارهم و هذا حسان بن ثابت أكثر المتأثرين بها من خلال أشعاره التي جاءت تعج بالألفاظ والمعاني القرآنية .

< هذه الألفاظ و المصطلحات الجديدة استطاعت القيام بمعاني التشريعات الدينية والتعبير بدقة عن الأفكار الإسلامية >[1] .

[1] زكرياء عبد الرحمان صيام : دراسات في الأدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص 304 .

1. فقد استخدم حسان لفظ " الإسلام " وهو لفظ جديد خاص بالدين الإسلامي ، ولم يكن العرب في الجاهلية يعرفونه بطبيعة الحال وقد ورد في قوله تعالى : < إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ > سورة آل عمران الآية 19 .

حيث يقول في رثائه لـ " حمزة بن عبد المطلب " :

فَو اللهِ مَا أَنسَاكَ مَا هَبْتُ الصِبَا و لا أَبكِينَ فِيْ مَحْضَرَيْ وَمَيسَرِيْ

عَلى أَسدِ اللهِ الَّذي كان مُدرِكًا يَذُوْدُ عَنِ السلامِ كلُّ كفورِ [1]

وجاء لفظ "المسلمين" في قوله يرثي النبي صلى الله عليه وسلم :

تَناهتْ وِبُوصَاةِ المُسلمينَ بِكفِهِ فَلا العِلمُ مَحْبُوسٌ ولا الرَأيُ يَنفُدُ [2]

ومن الألفاظ القرآنية كذلك لفظتي " المؤمنين " و" المشركين " " فقد أطلق القرآن الكريم لفظ " المؤمنين " على الذين استجابوا لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ورسخت العقيدة في عقولهم وتمكنت من قلوبهم " [3] .

[1] حسان بن ثابت : الديوان ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له : عبدا ، مهنا ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دت ، دط ، ص 113 .

[2] المصدر نفسه ، ص 64 .

[3] زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص 303 .

ويقول حسان في هذا :

رَأيتُ خيار المُؤمنينَ تَوارَدُوا شُعوبَ وقَدْ خَلفتُ فِيْ مَنْ يُؤخِرِ

عُداةُ بالمُؤمنينَ تَقودُهـمْ إلى الموتِ مَيمُونَ النَقيبةِ أزهرِ [1]

أما أولئك الذين جعلوا مع الله إلاها أخر يعبدونه فقد وصفهم القرآن" بالمشركين " وقد ورد هذا اللفظ في قول " حسان "

وخَبِّرْ بِالذيْ لا عَيبَ فِيـهِ بِصدقٍ غَيْرَ أخبارِ الكَذُوبِ

لِمَا صَنُعَ المَلِيكُ عُداةَ بَـدرٍ لَنا فِيْ المُشركينَ مِنَ النَصِيبِ [2]

ومن المصطلحات الروحية التي أوجدها الإسلام نجد (روح القدس ، جبريل ، مصلى ، مسجد ، الكتاب ، المنزل)[3] وغيرها من المصطلحات الروحية الأخرى وقد جاءت " احسان " أبيات تحمل هذه المصطلحات حيث يقول في قصيدته الهمزية :

وَجبريلَ آمِينَ اللهِ فِينـَا وَرُوحُ القُدسِ ليسَ لهُ كفاءُ [4]

[1]- حسان بن ثابت : الديوان ، ص 108 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 24 .

[3]- زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص 307 .

[4]- حسان بن ثابت : الديوان ، ص 20 .

وفي رثاء النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

وَوَاضِحُ آياتِ وَبَاقِي مَعالِمِ وَرُبِعٌ فِيهِ مُصلى وَمسْجِدِ[1]

وفي فخره بالأنصار إذ يقول :

نَصَرْنَا بِهَا خَيرَ البَريةِ كُلهَا إمامٌ وَوَقرنَا الكِتَابَ المُنزلا[2]

والأمثلة كثيرة جدا في شعر حسان عن تأثره بالألفاظ القرآنية وحتى المعاني فقد أورد حسان أبيات تثبت تأثره بالمعنى القرآني وذلك واضح في قوله :

مَعالمٌ لمْ تُطمسْ على العَهدِ أبهَا أتاهَا البلى فَالآيُ منها تُجَدّدِ [3]

وهو هنا يريد تجدد، أي الذكر الحكيم واستمراريته أبد الدهر، فقد استمد هذا من قوله تعالي : < إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ >[4].

وكذلك في قول " حسان "

شَهدتُ بِإذنِ اللهِ أَنَ مُحمـداً رَسولُ الذي من فَوقِ السَمواتِ من عَلِ

وَأَنَ أبيْ يَحيَا وَيَحيَا كِلاهُمَا لَهُ عَملٌ فِيْ دِينهِ مُتقبــلِ

و أَنَ الذي عَادىَ اليهودِ ابن مريمَ رَسولٌ آتى من عِندِ دي العرشِ مُرسلِ

[1]- حسان بن ثابت : الديوان ، ص 60 .

[2] المصدر نفسه ، ص 208 .

[3] المصدر نفسه ، ص 61 .

[4] سورة الحجر/الآية 09.

وأَنَ أَخَا الأَحْقافِ إِذْ يُعْزُونَهُ يَقُومُ بِدينِ اللهِ فِيهِمْ فَيَعْدِلِ[1]

وهذا ما بين إيمان حسان ومدى تأثر معاينة بمعنى القرآن الكريم وبهذا كان للدين حضور قوي من ألفاظ ومعاني في أشعار حسان بن ثابت ما يثبت شدة تأثره به ، ومن هنا تظهر الحداثة حياله في مسايرة "حسان " للتطورات والتغيرات الحضارية التي مست الناحية اللغوية بسبب لغة الذكر الحكيم ، وكذا بسبب الألفاظ الجديدة لم يكن العرب يعرفونها .

وقد هذب القرآن الكريم الألفاظ ونقاها من الغرابة والخشونة فأكسبها سهولة وبساطة وغزارة في المعنى ورقة في التعبير، كما أمدها بأفكار وأساليب جديدة .

ب- بساطة الألفاظ وسهولتها :

< من تأثير القرآن الكريم في اللغة أن أكسبها سهولة وبساطة وغزارة في المعنى ، فقد غلب على الشعر العربي قبل مجيء الدين الإسلامي طابع الغرابة والوعورة في اللفظ حتى أن القارئ يحتاج إلى معجم لغة لفهم مدلولات الألفاظ> [2] .

< ومن المعروف أن أهل الوبر كان تأثرهم الفني بالقرآن أقل من تأثر أهل الصدر الدين عايشوا نمو الدعوة الإسلامية عن كثب واصطحبوا النبي صلى الله عليه وسلم في سائر المواقف >[3] .

[1] حسان بن ثابت : الديوان ، ص 189 – 190 .

[2] زكريا عبد الرحمان صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي ، ص 300 .

[3] المرجع نفسه ، ص 301 .

وبهذا أخذ الشعراء ينهلون من القرآن الكريم ويقتبسون من نوره فارتقت وعذبت أساليبهم، ونضجت أفكارهم، واتسعت أفاقهم، وجاءت ألفاظ سهلة قوية الأداء، وقد برزت هذه السمات في شعر "حسان بن ثابت" وهو شاعر من المدينة حين يتحدث عن الدين الإسلامي أو عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما يصدر عن النور الذي ملأ قلبه وبصره من هدي النبوة، فكان جديرا بلقب " شاعر الرسول " ففي حديثه على النبي صلى الله عليه وسلم مادحا إياه يقول :

أَغَرَّ عَلَيهِ لِلنبوةِ خَاتَـمٌ من اللهِ مَشهُودٌ يَلُوحُ ويَشْهَـدُ

وَضمَ الإِلاهُ اسمَ النَّبي إلى اسمِهِ إِذْ قَالَ من الخَمسِ المُؤَذِنُ اشهـدُ

وَشَقَ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجُلَـهُ فَذُو العَرشِ مَحمُودُ وهَذا مُحمَـدُ [1]

الملاحظ على هذه الأبيات أن ألفاظها سهلة وواضحة والتعبير عنها أو عن معانيها قوي وجزل وفي مدح آخر يقول :

وَأجملُ منك لم تَرَقَطُّ عَينيْ وَأحسَنُ منك لم تَلِدِ النِسَاءُ

خُلقتَ مبرءً مِنْ كل عَيْبٍ كأنك قد خُلقتَ كما تشاءُ[2]

والملاحظة في ألفاظ الأبيات السابقة أنها سهلة وبسيطة ومفهومة ، ومعناها جميل وعذب

[1] حسان بن ثابت : الديوان، ص 54 .

[2] المصدر نفسه، ص 21 .

فلغة " حسان بن ثابت" ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتغيرات التي حدثت في تلك الفترة، والتي أضفت على اللغة بساطة ووضوحا ، هذه البساطة والوضوح وقرب اللغة من الحياة والواقع ما يطالب بها النقاد والشعراء الحداثيون < إن كل مرحلة من مراحل التجديد تثار فيها علاقة اللغة بالحياة وقربها من الواقع على أن قربها من الحياة لا يعني أنها تكون مثل لغة الناس العادية ، بمعنى أنها تحمل نبض الحياة الجديد>[1] فاستعمال المفردات اللغوية الجديدة يعتبر في حد ذاته تجديدا .

ج- تأثر حسان بن ثابت ببعض الألفاظ القرآنية:

هناك من الشعراء من لم يستطع الانقطاع عن قول الشعر و لكن صقل أسلوبه بالقرآن الكريم و من أمثال ذلك نجد حسان بن ثابت

فالقرآن الكريم يقول<< وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ >> [2].

و من الآية الكريمة تأثر حسان بن ثابت و أخذ منها<<فقال في الرد على آبي سفيان حين هجا النبي صلى الله عليه و سلم:

هَجوتَ مُحمدًا و أَجَبْتُ عَنهُ و عِندَ اللهِ في ذَاكَ الجَزاءُ

أَتهجوهُ و لستَ له بكفءٍ فَشرُ كمَا لِخيرِ كُمَا الفِداءُ

[1] عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، لبنان، 1981، ط2 ، ص 43 – 46 .

[2] سورة سبأ /الآية 24.

هَجْوتَ مُبارِكًا برًا حَنيفًا أمينُ اللهِ شِيمتهُ الوفـاءُ

امْنْ يَهجُو رَسولَ اللهِ مِنكُمْ و يَمدحهُ و يَنْهُرُهُ سَـواءُ[1]

و قوله تعالى:<< لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ >>[2]

<<و أخذ حسان في رثاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال:

عَزِيزٌ عَليهِ أَنْ يَجُورُوا عَلى الهُدَى حَريصٌ عَلى أَنْ يَستَقِيمَ أَو يَهْتَدُوا

عَطُوفٌ عَلَيهِمْ لا يُثْنِيْ جَنَاحُـهُ إلى كنفٍ يَحْنُو عَلَيهِمْ و يَمهدُ

وهنا نجد حسان قد اقتبس بعض الألفاظ من القرآن الكريم مثل: عزيز، حريص، ، كما اقتبس معنى الرحمة والعطف وهي: رؤوف، رحيم وقوله تعالى" هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَم هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ " [3].

فقال حسان:

وهَلْ يَستَوِيْ ضِلالُ قَومٍ تَسَفَّهُوا عَمًا يَهْتَمُ هَادٍ بِهَا كُلُ مُعتَدِ

لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ إلى أَهْلِ يَثْرِبَ رِكابُ هُدَى حَلَتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ[4]

[1] علي الخطيب: دراسات في الدب في عصر صدر الإسلام، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2012،دط، ص86.
[2] سورة التوبة / الآية 128.
[3] سورة الرعد/الآية 16
[4] علي الخطيب: دراسات في الدب في عصر صدر الإسلام، ص 86.

فقد أخذ حسان ألفاظا مثل يستوي، الأعمى ووظفها في التبيين السالفي الذكر

3-2 على مستوى العبادة والتوحيد :

العبادة هي طاعة الله وامتثال لأوامره ونواهيه في جميع < مجالات الحياة، مع منتهى الإخلاص والتسليم والتعظيم والمحبة له و الخشية منه > [1] .

والعبادة تمنع الإنسان وتحفظه من الوقوع في الشهوات وذلك راجع إلى مدى إلتزامه بأوامر الله ونواهيه فمن أهم مزاياه في الإسلام أنها خالصة لله وحده حيث يقول تعالى : < قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ >[2] .

كما هي صلة مباشرة بين العبد وربه و لا تحتاج إلى واسطة وتقوم أيضا على اليسر ورفع الحرج .

< والعبادة لا تتجلى إلا بتوحيد الله سبحانه وتعالى، والإيمان به خالقا للحياة وللموت، وخالقا لهذا الكون الذي سخره للإنسان باعتباره أسمى المخلوقات، لذا كرمه الله بالعقل ودعاه إلى التأمل في حقيقة الوجود بهدف اكتشاف حقيقة كبرى متمثلة في عبادة الله وحده وعدم الشرك به، والتسليم بقضائه وقدره، بأنه مالك الأرض ومن عليها >[3]

فهذا " حسان بن ثابت " يقر ويصدق بواحدانية الله ، وبأنه المالك لكل شيء، وقضاؤه لا يرد، بل يقع كما سطره هو للعالمين إذ يقول :

---

[1] عز الدين الخطيب التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص 111 .

[2] سورة الأنعام/الآية 162.

[3] عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه المفاهمية والنقدية ، ص 12 .

أَلا يَا لِقَومِ هَلْ لِمَا حَمِ دَفْعَ وَهَلْ مَا مَضَى مِن صَالِحِ العَيشِ رَاجِعُ

وَنعلَمْ إنَّ المِلكَ لِلّهِ وَحدهُ وأَنَ قَضاءَ الله لا بدَّ وَاقِعُ[1]

وقال أيضا :

أَمِيرٌ عَلَينَا رَسُولُ المَلِيْـ ـكِ أُحِيْبَ بِذَاكَ إِلينَا أَمِيْرَا

رَسولٌ نَصْدُقُ مَا جَاءَهُ مِنْ الوَحَيْ كانَ سِراجًا مُنِيْرَا [2]

ومن هنا يتضح لنا بأن حسان بن ثابت يؤكد في أبياته على أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء لذا وجب على المسلمين عبادته وطاعته، وذلك بالإيمان بالرسالة المحمدية، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو أمين الله في الأرض وقائد المسلمين لأن الله سبحانه وتعالى ، اصطفاه وخيره وفضله على البشرية كلها ، لذا وجب التصديق بما أنزل عليه من عند ربه من الوحي لأنه سبيل الخلاص والنجاة من الغي والضلال .

< وبهذا فعبادة الله جاءت شاملة لجميع جوانب الحياة لأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالي ويرضاه من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنية، وجميع أعمال الإنسان قائمة على الإيمان بالله واليوم الأخر إذ أديت على وجه مشروع تعد عبادة > [3]

وقد أكد " حسان بن ثابت" في شعره على أن العبادة لا تكون إلا الله تعالى فيقول :

[1] حسان بن ثابت : الديوان، ص 154 – 155 .

[2] المصدر نفسه، ص 128 .

[3] عز الدين التميمي وآخرون : نظرات في الثقافة الإسلامية، ص 116 .

أنتَ آلاهُ الخَلْق رَبِّيْ وخَالِقِيْ وَرَبَّ كَ مَا عَمَّرْتِ فِيْ النَّاسِ اشَهَدُ

لَكَ الخَلْقُ وَالنَّعْمَاءُ والأمرُ كُلُّهُ فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِيْ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ [1]

فعبادة الله وتوحيده وعدم الشرك به، قضية جديدة جاء بها الدين الإسلامي ليخرج البشرية من الظلمات إلى النور، ، وهي تمثل قضية معرفية مع ما كان سائدا في الجاهلية من عبادة الأصنام والأوثان فالعبادة لا تكون إلا للواحد الأحد .

3- 3 على مستوى الصور :

3-3-1مفهوم الصورة :

أ- لغـــة :

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (ص ، و ، ر) < الصورة في الشكل والجمع صور، وقد صوره فتصور ، وتصورت الشيء صورته فتصور لي ، والتصاوير : التماثيل .

قال " ابن الأثير" : الصورة ترد في لسان العرب (لغتهم) على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته >[2] .

[1] حسان بن ثابت : الديوان ، ص 54- 55 .

[2] ابن منظور : لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان ، دت، دط ، مادة (ص ، و ، ر) ص 492 .

وأما التصوير فهو : < مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها وانفعل بها ثم اختزنها في مخيلته مروره بها يتصفحها > [1]

والتصوير في القرآن الكريم ليس تصويرا شكليا بل تصوير شامل < فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل ، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور > [2].

ب- **اصطلاحا** :

إن الدارس للأدب العربي القديم لا يعثر على تعبير الصورة الشعرية في التراث الأدبي بالمفهوم المتداول الآن ، وإن كان شعرنا القديم لا يخلو من ضروب التصوير لأن الدرس النقدي العربي كان يحصر التصوير في مجالات البلاغة المختلفة كالمجاز والتشبيه والاستعارة أما الصورة الشعرية كمصطلح نقدي الذي يعنى بجماليات النص الأدبي قد دخل النقد العربي في العصر الحديث تأثرا بالدراسات الأدبية الغربية ، ومسايرة لحركة التأثير والتأثر التي عرفتها الآداب العالمية فالأدب العربي وهو يتطور في حركية دائبة نحو الكمال أخذ بقدر ما أعطى ، وهذا ليس عيبا بقدر ما هو سعي نحو المعاصرة ومحافظة على الأصالة والتميز .

[1] صلاح عبد الفتاح الخالدي : نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ، 1988 ، دط ، ص 74 .

[2] المرجع نفسه : ص 33 .

لقد ركزت أكثر التعريفات النقدية للصورة على وظيفتها ومجال عملها في الأدب ، ويلاحظ الأستاذ " الدكتور أحمد على دهمان " أن < مفهوم الصورة الشعرية ليس من المفاهيم البسيطة السريعة التحديد ، وإنما هناك عدد من العوامل التي تدخل في تحديد طبيعتها: كالتجربة والشعور والفكر والمجاز والإدراك والتشابه والدقة ... فهي من القضايا النقدية الصعبة، لأن دراستها (الصورة) لا بد أن توقع الدارس في مزالق العناية بالشكل أو بدور الخيال أو بدور موسيقى الشعر كما هو في المدارس الأدبية > [1] .

ومن خلال ذلك يتضح لنا بأن الصورة عند "احمد علي دهمان" مركبة ومعقدة وتستعصي على الدارس .

لقد ظهر الاهتمام بالصورة في الدرس الأدبي عموما والشعر خصوصا، منذ حركة الترجمة التي عرفها الفكر العربي عن الفلسفة اليونانية ومدى الاحتكاك الحادث بين الحضارتين الغربية والعربية < فإذا كان الاهتمام بالصورة أصيلا بالنظر إلى الإبداع الأدبي وتحليله ، فقد رأينا أن الاصطلاح قديم كذلك ، يتردد في المصنفات النقدية، وإن برؤى تتقارب حينا وتتباعد حينا آخر، فهو ليس جديدا و لا يخفى أن التذوق الجمالي منذ أن كان الشعر في المجتمعات القديمة كان مصدره الصورة التي تساعد على اكتمال الخصائص الفنية في الفن والأعمال الأدبية > [2] .

[1] أحمد علي دهمان : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، سوريا ، 1986 ، ط1 ، ص 269 ، 270 .

[2] فايز الداية : جماليات الأسلوب ، الصورة الفنية في الأدب العربي ، دار الفكر المعاصر ، 1996 ، ط2 ، ص 15 .

3-3-2 الصورة الإستعارية عند حسان بن ثابت :

إن للصورة الإستعارية دور كبير في إبراز المعنى وتصويره ، فإن " حسان بن ثابت " لا يغفل عن استعمال هذا الوجه البلاغي أثناء مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أحصيت ما مجموعة تسع عشرة صورة استعارية ، منها أربع عشرة صورة مكنية وخمس صورة استعارية تصريحية .

أ- الصورة الاستعارية المكنية :

يقول حسان بن ثابت في معرض مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم :

يُبَارِيْنَ الأعِنَّةُ مُصْعِدَاتٍ عَلى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِماءُ [1]

فالاستعارة المكنية في قوله : (الأسل الظماء) حيث شبه الشاعر الأسل وهي الرماح السمر، وهي على أكتاف الخيل بنفوس متعطشة إلى الدماء فحذف المشبه به (النفوس) وأبقى على شيء من لوازمه (ظمأن) على سبيل الاستعارة المكنية ، لعلاقة بين المشبه والمشبه به، وهو جامع الظمأ والتعطش ، فكل من الرماح والنفوس ظمأن تنتظر الارتواء، النفوس من الماء، والرماح من الدماء .

[1] حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 60 .

ويقول أيضا في بيت آخر يهجو فيه " سفيان بن الحارث بن عبد المطلب "

بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكِتَكَ عَبْدًا وَعَبْدَ الدَّارِ سَادَتُهَا الإِمَاءُ[1]

فالصورة الاستعارية المكنية في قول الشاعر (بأن سيوفنا تركتك عبدا) فقد شخص الشاعر السيوف وجعل لها عن طريق التعبير المجازي إرادة الفعل والترك، لأن الترك ليس من صفة السيوف فهي أشياء مادية ومحسوسة بالفعل والترك ، ولكن الشاعر استطاع أن يقارب بين المعاني التي تبدو للقارئ متناقضة وهناك لا ملاءمة بين السيوف و فعل الترك ، لأن الشاعر لم يعبر بالطريقة التقريرية المباشرة ولكنه أراد معنى المعنى، وبالتالي فالألفاظ تنزاح عن دلالتها القريبة ، وتنتقل إلى المعنى الذي يريده الشاعر من خلال استعماله للتصوير الاستعاري ولأن التشخيص من وظائف الصورة الاستعارية الذي يعني فيما يعنيه قدرة الشاعر على تخيل الحياة فيها لا حياة فيه .

وفي معرض الفخر بقومه ثم بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وهجاء المشركين يقول حسان :

فَطَارَ الْغَوَاةُ بِأَشْيَاءعهِمْ إِلَيْهِ يَظُنُّونُ أَنْ يُخترَمْ [2]

والشاهد في الصورة الاستعارية قول الشاعر : (فطار الغواة) ويقصد بالغواة كفار قريش الذين طاروا مع أشياعهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، وهم يعتقدون

[1] المصدر السابق ، ص 63 .

[2] المصدر نفسه ، ص 431 .

في قرارة أنفسهم إمكانية النيل منه واستعمال دينه ودعوته فاستعار للغواة أجنحة ، وهو ما يسميه علماء البلاغة (استعارة الطيران لغير ذي جناح) ، فالشعر يشبه الغواة بالطيور تطير إلى مبتغاها مستعملة في ذلك أجنحتها لقطع المسافة بسرعة ، كذلك الغواة يسرعون إلى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية حين حذف المشبه به (الطيور) وأبقى على قرينة تدل عليه (طار) .

ب- الصورة الاستعارية التصريحية :

يقول حسان وهو يصف شعره في معرض الافتخار بنفسه :

لِسَانِيْ صَارِمُ لاَعَيبْ فِيهِ وَتَجْرِي لاَ تُكَدَّرُهُ الدَّلاَءُ [1]

لقد شبه الشاعر "شعره" بالبحر فحذف المشبه (الشعر) وصرح بالمشبه به (يجري) على سبيل المثال الاستعارة التصريحية .

ويضيف حسان بن ثابت في معرض ذكر أفضال الرسول صلى الله عليه وسلم على الأنصار (أوسهم و خزرجهم) قائلا :

لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبِ رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعُدِ [2]

لقد جعل الشاعر (الوحي) الذي حذفه وهو المشبه ، (كركاب هدى) وهي نجوم يهتدي بها في ظلمات الليل البهيم، وهو المشبه به الذي صرح به الشاعر على سبيل الاستعارة

[1] حسان بن ثابت : الديوان ، ص 66 .

[2] المصدر نفسه ، ص 144 .

التصريحية ، فكان القرآن الكريم الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمثابة نجوم السعد : اليمن ، ونقيضه النحس ، فحلول الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم على الأنصار بمثابة السعد واليمن والبركات وكذا في قوله :

بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكِتَكَ عَبْدًا وَعَبْدَ الدَارِ سَادَتُهَا الإِمَاءُ[1]

فالسيوف هنا أشياء مادية محسوسة، جعلها حسان تملك إرادة الفعل والترك ، والجامع بين المشبه به المحذوف والشبه المذكور هو (الإذلال والاحتقار) ، وهي صفة عقلية كما أن الاستعارة المكنية إخفاء للمشبه به وستره وهي من قبيل (الاستعارة التخييلية) التي يتراءى فيها التشبيه بعد تأمل وإعمال فكر ، وفيها يحذف .

3-3-3 الصورة الكنائية عند حسان بن ثابت :

لقد أسهب حسان بن ثابت وكعادة الشعراء القدماء في توظيف الصورة الكنائية، ولعل السر في إسهاب حسان بن ثابت في استعمال الصورة الكنائية بنوعها (كناية عن الصفة وعن الموصوف) لما لها من دور في تجسيد المعنى وتقريبه من ذهن السامع و تسليط الضوء عليه ليزداد وضوحا وترسيخا في الأذهان .

[1] المصدر السابق ، ص 60 .

أ- الكنايـة عن الصفـة :

وفي هذا يقول حسان بن ثابت في مقدمه طللية يصف فيها منازل (بني جفنة) من ملوك (الغساسنة) الذين امتدحهم الشاعر في الجاهلية وأحسن مدحهم فأكرموه وبالغوا في إكرامه لذلك :

دِيَارٌ مِنْ بَنِيْ الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعْفِيْهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ

وَكانَتْ لا يَزَالُ بِهَا أَنِيسُ خِلالُ مَرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ[1]

فالشاعر يصور لنا حال هذه الديار، وكيف عفتها الرياح والأمطار وطمست معالمها ، والحال أنها كانت لا تخلوا من أنيس ومروج كانت تجوس جلالها النعم **والشاء** .

وكذلك في وصفه ، لخيول الفرسان من الصحابة في مجارتها للأعنة في اللين وسرعة الإنقياد فيقول :

يُبَارِيْنَ الأَعِنَّةُ مُصْعَداتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ[2]

فالخيول مشتاقة للحرب ،سلسلة القيادة ، ماضيه لا تلوي على شيء فهي تعارض الأعنة في الجذب لقوة نفوسها وقوة رؤوسها ، وهذا على سبيل الكناية عن الصفة ، فالشاعر لا يريد المعنى الحسي القريب من مباراة الخيول لأعنتها، وإنما يريد صفة في هذه الخيول ، وهي

[1] حسان بن ثابت : الديوان ص 58 .

[2] المصدر نفسه ، ص 60 .

اللين وسرعة الانقياد ، وتبدو هذه الصفة متوازية لا يصل إليها القارئ بيسر بل عليه أن يتمعن ويتعمق في الفهم ليصل إلى مراد الشاعر .

ويصف حسان بن ثابت إصرار قريش على الكفر كلما دعوا إلى الإيمان بالله و تصديق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول:

وَقَالَ الله قد أرسلتَ عَبدًا يقُولُ الحَقّ إِنْ نَفَعَ البَلاءُ

شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّ قُوهُ فَقُلْتُم لا نَقُومُ وَلا نَشَاءُ[1]

ففي رد فعل قريش على دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلحاح وإصرار على البقاء على الكفر والشرك، ففي قول حسان: ولا نقوم ولا نشاء، على لسان قوي الكفر والشرك"كناية عن الصفة" وهذا هو المعنى البعيد الذي يريده الشاعر وقد يبدوا هذا المعنى المجرد مخفيا ثم تمكن الشاعر من الوصول إلى إبرازه عن طريق الكناية.

وفي الهمزية نفسها، يتابع حسان وصف ما لاقاه المسلمون من إيذاء وعناء من قبل قريش فيقول:

كُنّا فِيْ كُلّ يَوْمٍ مِنْ مَعْدٍ سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

ففي قول الشاعر (ولنا) يعني بها قومه الأنصار، و(معد) هم مشركوا قريش، ولا يخفى على المتأمل ما في هذه العابرة من صورة كناية ، فالشاعر يريد أن يشير بهذه العبارة إلى صفة

[1] حسان بن ثابت الديوان ، ص 62.

مستترة في سياق الكلام وهي (العداوة الشديدة) في قول الشاعر (سباب، أو قتال أو هجاء، وذلك عن طريق عن الصفة.

ب- الكناية عن الموصوف:

ومن أمثلة ذلك يقول حسان :

وَنحكُم بِالقَوافِيْ مَنْ هَجَانا وَنَضْرِبُ حِيْنَ تَخْتَلِطُ الدِّماءُ[1] .

فالشاعر يجعل من القوافي سلاحا فتاكا للرد على أكاذيب وأراجيف المشركين، ففي القوافي منعة وحماية لأعراضهم، هذا إذا كان المجال مجال كلام، فيكون هجاء بهجاء، أما حين تستعر نار الحرب، فالضرب أولى، وهذا ما عناه حسان بقوله ونضرب حين تختلط الدماء فكيف تختلط الدماء؟ وماذا نفهم من هذا التعبير؟ فحسان لم يعبر تعبيرا مباشرا ليتحدث عن الحرب، بل وظف المجاز عن طريق الكناية، والمعنى الذي يريده مخفي ومستتر، وهو كناية عن موصوف ويريد يوم الحرب.

وفي المعرض وصف اجتماع قريش واستعدادها للقضاء.

على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى دينه يقول حسان:

أَمَوا بِغَزوِهِمُ الرَسُولَ وَأَلبَسُوا أَهْلَ القُرى وَبَوادِي الأَعرَابِ [2].

[1] المصدر السابق ، ص 62.

[2] المصدر نفسه ،ص 67.

والتعبير المجازي عن طريق الكناية في قوله: (أهل القرى وبوادي الأعراب) ويريد من خلال هذا التعبير الكثير من الناس وعامتهم الذين يقفون مع قريش ضد النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الكناية عن الموصوف.

- وفي معرض الرد على "الزبرقان بن بدر" يفتخر حسان بالصحابة رضوان الله عليهم وبجيش المسلمين الذين كانوا القدوة، ولإظهار الطاعة العمياء له يقول حسان:

أَعْطَوْا بَنِي الهُدَى وَالبِر طَاعَتَهُمْ وَمَا وَنَا نَصْرُهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا.

إِنْ قَالَ سِيرُوا أَجَدُّوا السَّيْرَ جُهْدَهُمْ أَو قَالَ عُوجُو عَلَينَا سَاعَة رُبْعُوا

مَازَالَ سَيْرُهُمْ حَتَى اِسْتَقَادَ لَهُمْ أَهْلَ الصَّلِيبِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ اِلبِيْعُ[1]

فبانقياد المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم وطاعتهم له، انقادت لهم الدنيا وظهر الولاء لهم كل من الكفار والنصارى واليهود وفي قول حسان(أهل الصليب وأهل البيع) إشارة إلى ذلك على سبيل الكناية عن الموصوف ، فقد كنى حسان عن النصارى واليهود بأهل الصليب ومن كانت له البيع.

[1] المصدر السابق، ص 306.

الخاتمة:

بعد عرضنا لموضوع الأثر الديني في النص العربي القديم–حسان بن ثابت أنموذجا– توصلنا إلى جملة من النتائج نوردها على النحو التالي:

–أن القرآن الكريم قد أثر في الأساليب الشعرية على مستوى المضامين.

–القرآن لم يلغ الشعر، بل أن الرسول صلى الله عليه و سلم.دعى الشعراء، و بخاصة حسان إلى استخدامه كوسيلة دعوية.

أن الإسلام أثر على حياة العرب الفكرية و الاجتماعية و الثقافية، فنجد من الشعراء من لم ينشد بيتا واحدا بعد نزول القرآن.

–حسان بن ثابت هو شاعر الدعوة المحمدية،و كان للقران اثر كبير في شعره بعد الدعوة.

– تخلى حسان بن ثابت عما كان يشوب شعره من الجمالية في سبيل النهوض بالدين الجديد.

–يعتبر المديح الديني من بين الأغراض التي نظم فيها حسان شعره متأثر بشخصية الرسول و الصحابة الكرام.

–إقتبس حسان بن ثابت من القران ألفاظا و وظفها في شعر،لما في القران من ألفاظ قوية و جزلة.

-انتقل حسان بالصور الشعرية من طابعها القديم المفرط إلى طابع جديد، حيث لا يصور الشيء إلا بما فيه

و أخيرا نتمنى أن يكون هذا العمل المتواضع و الذي مازال للإثراء و التوسع،قد القي الضوء على بعض جوانب الموضوع،و أزال الغموض عن هذه النقطة بالذات نعني<<الأثر الديني في النص العربي القديم-حسان بن ثابت أنموذجا->>كما نام لان نكون قد وفقنا و لو قليلا في توضيحها،و أن تجد هذه الدراسة طريقها نحو الظهور و التبليغ و كذا النجاح والتوفيق

وكما نجدد شكرنا الخالص و امتنانا إلى أستاذتنا الفاضلة<<سعاد الوالي>> و إلى كل من أعاننا في هذا البحث المتواضع

تم بحمد الله و عونه.

القرآن الكريم.

أ- المصادر:

1-ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية ، صيدا، 2001، ط 1 .

2- إبن عبد ربه : العقد الفريد ، تح محمد سعيد العريان ، المكتبة التجارية الكبرى ، 1952 ، ط1 ، ج2 .

3-ابن منظور : لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان ، دت، دط .

4-ابن منظور لسان العرب – مادة م . د . ح .

5-أنور الجندي : معلمة الإسلام ، المكتب الإسلامي ، دت ، ط1 .

6-بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط6 .

7- جعفر بن السيد باقر الحسني : تأثير الإسلام في حياة العرب ، دت، دط.

8-حسان بن ثابت : الديوان ، تح عبد الله منرة ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 2002 ، ط1 .

9-حسان بن ثابت : الديوان ، شرحه وكتب هوامشه وقدم له : عبدا ، مهنا ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، دت ، دط.

10- الزمخشري (محمد بن عمر) : أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمود – دار المعرفة بيروت – دت،دط.

11- سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشرق ، بيروت ، لبنان ، 1985 ، ط11 .

12- طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، 2006 ط2 .

13- قدامة بن جعفر : نقد النثر ، القاهرة ، 1938 د ط .

ب- المراجع :

1- أحمد أمين : فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي، بيروت، لنان، 1969 ، ط10 .
2- أحمد علي دهمان : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، سوريا ، 1986 ، ط1 .
3- إسماعيل يحي بن كثير : تفسير ابن كثير ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1986 ، ط 2.
4-حسين علي الداخلي : البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام ، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010 ، ط1 .
5- حسين علي الداخلي : البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام .
6- زكريا عبد الرحمان صيام: دراسة في الأدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، د ت، دط.
7- زكرياء عبد الرحمان صيام : دراسات في الأدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام.
8- صلاح عبد الفتاح الخالدي : نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبيعة، الجزائر ، 1988 ، دط .
9- طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، 2006، ط2 .
10- عباس محجوب : الأدب الإسلامي قضاياه المفاهمية والنقدية، جدار الكتاب العالي للنشر والتوزيع ، 2006، ط1 .
11- عبد العزيز عتيق : في الأدب الإسلامي والأموي ، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، 2001، ط1 .
12- عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، لبنان، 1981، ط2 ،
13- عز الدين الخطيب التميمي وآخرون: نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الشهاب د ت ،دط .

14- عزيزة فوال بابتي : معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، دار صادر لبنان ، دت ، ط1 .
15- علي الخطيب : دراسات في الأدب في عصر صدر الإسلام، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، 2012 ، دط .
16- علي الخطيب: دراسات في الدب في عصر صدر الإسلام، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2012،دط.
17- فايز الداية : جماليات الأسلوب ، الصورة الفنية في الأدب العربي ، دار الفكر المعاصر ، 1996 ، ط2 .
18- محمد مهداوي: جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم، مقاربة تحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، 2009،ط1.

ج-المجلات:

1- حسن الأمراني : (الحداثة .... مالحداثة ؟) ، مجلة المشكاة ، العدد 15 – 16 .

د-القواميس والمعاجم:

1- جبور عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين بيروت ، 1984 ، ط2 .

فهرس الموضوعات

المحتوى.....الصفحة

مقدمة .....

مدخل..... 9-13

الفصل الأول: .....

1- لمحة عن النص العربي القديم..... 15-18

2- الشعر في صدر الإسلام..... 18-19

2-1 الدين.....20-22

2-2 موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر.....23-24

3- تأثير الإسلام في حياة العرب 25-30

4- تأثير القرآن في الأساليب الشعرية.....30-36

5- بين الشعر و القرآن.....36-40

الفصل الثاني: .....

1-نبذة عن حسان بن ثابت.....42

1-1 أصله ونسبه.....42

1-2 مولده ونشأته.....42

1-3 حسان شاعر الأنصار والغساسنة في الجاهلية.....42-43

1-4 إسلام حسان.....43

1-5 حسان شاعر الرسول عليه الصلاة و السلام.....44-45

1-6 حسا وغزوات النبي صلى الله عليه وسلم 45

1-7 وفاته.....46

2-تعريف المدح 47

فهرس الموضوعات

2-1 المدح لغة.....47

2-2 إصطلاحا 48

2-3 المدح في الجاهلية.....48-49

2-4 المدح في عهد النبوة.....49-52

3- مستويات الأثر الديني.....53

3-1 على مستوى الألفاظ.....53

أ- الألفاظ الإسلامية ودلالاتها الجديدة.....53-57

ب- بساطة الألفاظ وسهولتها.....57-59

ت- تأثر حسان بن ثابت بالألفاظ القرآنية.....59-61

3-2 على مستوى العبادة والتوحيد.....61-63

3-3 على مستوى الصور.....63

3-3-1 مفهوم الصورة.....63

أ- لغة 63-64

ب- اصطلاحا 64-65

3-3-2 الصورة الاستعارية عند حسان بن ثابت 66

أ- الصورة الاستعارية المكنية 66-68

ب- الصورة الاستعارية التصريحية 68-69

3-3-3 الصورة الكنائية عند حسان بن ثابت 69

فهرس الموضوعات

أ- الكناية عن الصفة 70-72

ب-الكناية عن الموصوف.....72-73

خاتمة.....75-76

قائمة المصادر و المراجع.....78-80

فهرس الموضوعات.....81-83